

الاستسقاء في الشعر الجاهلي

د. أنور أبو سويلم *

جامعة مؤتة

Abstract

This paper discusses the idea of praying for rain in Jahili Poetry in the light of Modern Mythology, explains the Jahili Poetry related to the praying for rain from a mythological point of view that is involved in the Jahili Pagan beliefs. It also discusses the following subjects: appealing to the stars for rain, manipulating the rain by the use of magic, and other beliefs which cause rain such as throwing a stone (Rain Stone) into water; throwing a horse into water; having a bath, washing the clothes; appealing to the prophets, saints, the dead, rain-maker, poets, magical fire, Monster OX (Thawer Al-wahish) and other Jahiliyyeh rituals related to rain. However, the paper makes a close connection between the Jahili Poetic images and the religious perception which Jahili Poetry brings out.

ملخص

يعرض هذا البحث لفكرة الاستسقاء في الشعر الجاهلي في ضوء علم الميثولوجيا الحديث ، و يفسر الشعر الجاهلي المتعلق بالاستسقاء تفسيراً أسطورياً متصلاً بالمعتقدات الجاهلية الوثنية ، و يناقش الموضوعات التالية : الاستسقاء بالنجوم ، والتحكم في المطر بوساطة السحر ، وحجر المطر والفرس والمطر ، والاستحمام والمطر ، وغسل الثياب والمطر ، وبيوت الله والمطر ، والاستسقاء بالأنبياء والأولياء والقديسين والاستسقاء بالموتى ، وصانع المطر ، والشعراء والمطر ، والنار السحرية والمطر ، وثور الوحش والمطر ، وغيرها من الطقوس الجاهلية المتعلقة بالاستسقاء ، و يربط ربطاً محكماً بين الصور الشعرية الجاهلية والتصور الديني الذي صدرت عنه أشعار الجاهليين .

(١) الاستسقاء بالنجوم

وقف الشاعر الجاهلي من المطر موقف التذلل والتضرع ، وموقف العشق والوجد ، والرغبة والرغبة ، وأحس القلق والأرق والهيبة والخوف ، والتوتر والسهاد وهو يترقب سقوط

* أستاذ مساعد ، دائرة العلوم الانسانية ، دكتوراه أدب جاهلي من جامعة القاهرة ، عام ١٩٨٠ .

المطر في عتمة الليل ، وأخذته الفرحة والنشوة وهو يستقبل المطر المنثور كالدر . وقد يأتي المطر رحيماً رقيقاً فيكون له نعمة ورحمة ، وقد يأتي عنيفاً رهيباً فيكون له نقمة وعذاباً ، ولعلّ جانب العُنف والغضب كان أكثر شيوعاً من جانب الرّفق والرحمة ، إذ يتكرّر في الشعر الجاهلي منظر المطر وهو يحيل الكون طوفاناً مدمراً ، وسيولاً عارمة ، وانقلاباً كونياً . يهدم ويُفلق ويُغرق ويُدمّر من جهة ، ويُحيي وينبت وينعش ويُفرّج من جهة أخرى (١) .

غير أنّ وطأة القحط والمحل رهيبه مُفزعةٌ ، إذ أنّ انحباس المطر يحيل الحياة في الصحراء العربية شقاء وعذاباً وشحاً وجوعاً وفقراً ورُعباً : وما إن يأتي شَبَح القحط في الصحراء العقيم حتى يخيم في القلوب الدُعر والخوف ، والهلع والفزع ، وتلمع العيون بالشرّ والتهديد ... الفقير يتحفّز للغارة ، والغنيّ يستعدّ للهجرة ، وذئاب الصحراء تحيل الأمن حرباً لا تنتهي .

لذلك سعى الإنسان القديم الى استرضاء القوى الخفية التي تتحكم في سقوط المطر ، والى التوسّل والتضرّع والتذلّ ، والبكاء ، والتعاويد ، والسحر ، وتقديم القرابين والصلوات .

وكان الاستسقاء بالنجوم من أهمّ معتقدات الجاهليين فقد جعلوا المطر فعلاً للكواكب وحادثاً عنها ، ونسبوا الأمطار والرياح إلى السّاقط والظّالع من النجوم ، وأضافوا الغيث الى الكواكب ، فقالوا مطرنا بنوء كذا ... قال ابن سيده : (٢) .

«وانما جاء حمدهم بعض الأنواء وذمهم بعضاً من قبَل مواقع الأمطار التي تكون في

(١) انظر شعرهم في ذلك : أبو ذؤيب الهذلي : شرح أشعار الهذليين ، تحقيق . عبد الستار فراج ، القاهرة ١٩٦٥م ، ج ١ ص ١٢٨ وما بعدها ، ج ١ ص ١٦٧ وما بعدها . وعبيد بن الأبرص : الديوان : تحقيق : د. حسين نصار مطبعة البابي الحلبي القاهرة ١٩٥٧م ، ص ٧٢-٧٦ ، وص ٣٤ .

وأوس بن حجر . الديوان ، تحقيق د. محمد يوسف نجم ، دار صادر بيروت ١٩٦٧م ، ص ١٣-١٧ . وأمرؤ القيس : الديوان ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر ١٩٦٤ ، ص ٢٤ ، وص ١٤٤ . وديوان ليبيد بن ربيعة : تحقيق : د. إحسان عباس وزارة الارشاد ، الكويت ١٩٦٢م ، ص ٢٩ وص ٨٨ ، ص ١١١ ، وديوان سحيم عبد بني الحسحاس ، تحقيق : عبد العزيز الميمني ، دار الكتب المصرية ١٩٦٨م ، ص ٣١ وص ٤٦ . وسلامة بن جندل : الديوان تحقيق : فخر الدين قباقوة ، طبع حلب ١٩٦٩م ، ص ١٣٦ .

(٢) ابن سيده : كتاب الأنواء ، ص ٨٢ ضمن كتاب المخصص ، طبع الكتب التجاري بيروت (دون تاريخ) .

أيامها ، فأَيَّ كوكب جاء وقت نَوَّهه ، فصادف المطر الذي يكون فيه من الزمان ومن البلد موافقة ونجع ، فتبين خيره ونفعه ، حمدوا ذلك النوع ، وأضافوا حمده الى الكواكب ، ونَوَّهوا به ، والآيكنُ ذلك ذمَّوه ، وسَمَّوا نوعه به ، حتى كان الفعل في ذلك فعل الكواكب الكواب ، ولَمَّا جَرَّبوا هذه الأمور في القديم ، وطال اختبارهم لها ، فوجدوها ثابتة في مراتبها ، ألزموا الكواكب ذلك» .

وهذا التعليل يتناسى التراث اللّيني الجاهلي الذي كانت عبادة الكواكب فيه جزءاً أساسياً من ذلك المعتقد ومن ثَمَّ كان إيمانهم بأنَّ المطر من صنع الأنواء (٣) ، لذلك جاء في الحديث النبوي الشريف : (٤) «ثلاث من أمور الجاهلية : الطَّعن في الأنساب والنِّياحة ، والاستسقاء بالأنواء» .

والنَّوء يرتبط في اعتقادهم بفعل الكواكب المؤثرة ، فهي التي تصنع السحاب وترسل الرياح وتأتي بالمطر ، كما قال بشر بن أبي خازم الأسدي : (٥) .

جادت له الدَّلُو والشَّعْرَى ونَوَّهَها بكلَّ أَسْم داني الودق مرتجف

وقد ربط «الأسود بن يعفر» بين همومه ومصائبه ومشكلاته وبين يوم مولده وما فيه من أنواء ، قال : (٦)

ولدت بحادي النَجْم يتلو قرينه وبالقلب قلب العقرب المتوقّد

فنوء الدبران أو المجدح مذموم ، ويسمى أيضاً «الحادي» «والراعي» وفي المثل : «إذا طلعت الدبران ، يبست الغدران ، وتوقّدت الحزان وكرهت النيران» وإنما ذموا بعض الأنواء

(٣) الأنواء المحمودة بالمطر هي : الشرطان والثرياء ، والشعريان ، والمرزمان ، والسمكان ، ونوء الزباني ، والإكليل ، والقلب ، والسعود الأربعة : الذابح وبلغ والأخبية والسعود ، ونوء الحوت والجبهة . ابن قتيبة : الأنواء في مواسم العرب ، طبع حيدرآباد ، الهند ١٩٥٦م ص ٣٢ وما بعدها ، وابن الأجدابي : الأزمنة والأنواء ، تحقيق عزة حسن ، دمشق ١٩٦٤م ج ٢ ص ٢٥٤ وما بعدها :

(٤) ابن الأجدابي : الأزمنة والأنواء ١٣٦/١ ، ومحمد السفاريني الحنبلي : ثلاثيات مسند الإمام أحمد ج ٢ ص ٩٣٣ (المكتب الإسلامي ، دمشق ١٣٨٠هـ) .

(٥) بشر بن أبي خازم الأسدي : الديوان ، تحقيق : د. عزة حسن ، دمشق ١٩٦٠م ص ٥٧ .

(٦) الأسود بن يعفر النهشلي (٦٠٠-٦٠٠م) الديوان ، تحقيق : نوري القيسي بغداد ١٩٧٠ ، ص ٢٢ .

لعقمها وشدة بردها وقلة مطرها .. ومن شر الأنواء : البطين ، والهقعة والهنعة (أو الجوزاء) والدبران أو (الحادي) ، والزباني والإكليل والقلب والشوثة وهي في برج «العقرب» ومن الأنواء المحمودة الخيرة : الشرطان ، والثريا ، والشعريان ، والسماكان ، والنعائم ، والبلدة ، والسعود الاربعة : الذابح وبلع والأخبية والسعود ، وفرغا كوكبة الدلو الأعلى والأسفل ، ونوء الحوت ... وإنما حمدوها لغزارة أمطارها ، وطيب هوائها وكثرة خيراتها وثمارها .

وفي المعتقد الجاهلي كان للكواكب الدور الأول في تقرير مصير الناس والتحكم في حياتهم ورزقهم . وإرسال السحب والمطر ، ولا ريب أن الصلة واضحة بين هذا المعتقد وبين الجبرية الفلكية البابلية (٧) . وتحوّل هذا الاعتقاد الغيبي إلى علم جديد سماه «طاش كبرى زاده» بـ «علم نزول الغيث» قال : (٨) «وهو علم يتعرف به كيفية الاستدلال على المطر بأحوال البروق والسحب والرياح ، وأخصّ الناس بهذا العلم العرب ، لاشتداد حاجتهم إلى الغيوث التي بها حصول معائشهم من السقي والرعي ودليله السحب بحسب مواضعها أو رقتها وكثافتها ، أو ألوانها ، وكيفية أحوال الرياح والبروق» .

وكان يصاحب هذا العلم طقوس شعبية ، وممارسات خاصة عند عامة الناس فيها شعوذة وسحر ، وقد أشار الزبيدي إلى دعاء الصبيان في البادية إذا استقسوا وهو «المُطَيِّر» قال ابن شميل : من دعاء صبيان الأعراب إذا رأوا حالاً للمطر «مُطَيِّر» (٩) .

(٢) التحكم في المطر بوساطة السحر

وقد وقف الانسان منذ القدم أمام الظواهر الكونية متأملاً متفكراً متوتراً ، محاولاً جهده السيطرة عليها بتجاربه ومعارفه ، وبسحره وابتهاالاته وتوسلاته .

(٧) د. نوري القيسي : الطبيعة في الشعر الجاهلي ، دار الارشاد ، بيروت ١٩٧٠ ، ص ٦٤-٦٦ ومصطفى الجوزو : من الأساطير العربية والخرافات ص ٢٨ .

(٨) طاش كبرى زاده : مفتاح السعادة ، ج ١ ص ٣٥٦ .

(٩) الزبيدي : تاج العروس من جواهر القاموس . المطبعة الخيرية بمصر ١٣٠٦ هـ ، مادة (مطر) .

وفي المجتمعات القديمة يعدّ «صانع المطر» من أهم الشخصيات ، وكثيراً ما توجد طبقة خاصة من السحرة ، يتولى أفرادها مهمة السيطرة على الرياح والتحكّم في نزول الأمطار ، مستخدمين أساليب تستند غالباً إلى مبدأ السحر التشاكلي «المحاكاة» (١٠) فإذا أرادوا مثلاً أن يسقط المطر قاموا بمحاكاة سقوطه برش الماء ، أو محاكاة تجمع الغيوم والسحب ، أمّا إذا أرادوا إيقافه ، وإحداث الجذب ، فإنهم يتفادون الاقتراب من الماء ، و يعمدون إلى الدّفء ، وإلى الثّار (١١) .

وتعتقد أكثر الشعوب القديمة بوجود آلهة تتصرف في الظواهر الجوية ، وتثير العاصفة ، وتنزل الأمطار ؛ ففي أفريقيا الاستوائية يعتقد السكان بـ «كانج تنج» الذي يسكن في السماء ، وينزل الغيث ، و «تورا» يرسل الصاعقة و «أزونجو» يخاطب البشر بالردع مبشراً بسقوط المطر (١٢) .

وفي المعتقدات الفينيقية القديمة آمنوا بـ «بعل» المعتلي السحاب ، إله البرق والرّعد ، الذي يمنح الأمطار الطيبة في موسمها ، فتحضر الأرض ، و يفرح الناس (١٣) .

(١٠) إذا حلّلنا مبادئ الفكر التي يقوم عليها السحر ، فإنه يحتمل أن نجدتها تنحصر في مبدئين اثنين ، الاول : أنّ الشبيه يُنتج الشبيه ، أو أن المعلول يشبه علته ، والثاني : أنّ الاشياء التي كانت متّصلة في وقت ما ، تستمر في التأثير بعضها في بعض من بعيد بَعْد أن تنفصل فيزيقياً ، ويمكن أن نسمي المبدأ الأول «قانون التشابه» وأن نسمي المبدأ الثاني «قانون الاتصال» أو التلامس .. وعلى ذلك يمكن أن نسمي التعاويذ والقلاسم التي تقوم على قانون التشابه «السحر التشاكلي» أو «سحر المحاكاة» بينما نسمي تلك التي تستند إلى قانون الاتصال أو التلامس «السحر الاتصالي» .

وإذا حلّلنا الحالات المختلفة للسحر التعاطفي سوف نجد أنّها تطبيقات خاطئة لأحد القانونين الأساسيين للفكر الانساني ، وهما تداعي المعاني عن طريق التشابه ، وتداعي المعاني عن طريق التجاور والاتصال في المكان والزمان ، فالتداعي الخاطيء للمعاني والافكار المتشابهة يؤدي إلى السحر التشاكلي أو سحر المحاكاة ، والتداعي الخاطيء للمعاني أو الافكار المتصلة يؤدي الى السحر الاتصالي .

انظر جيمس فريزر: الغصن الذهبي ، الهيئة المصرية العامة ١٩٧١م ج ١ ص ١٠٤ و ٢١٦ .

(١١) جيمس فريزر: الغصن الذهبي ، ج ١ ص ٢٥٠ ، وهذا الاعتقاد مخالف للاعتقاد العربي الذي يعتمد اشعال النار وسيلة للاستمرار .

(١٢) طه الهاشمي: تاريخ الأديان ، مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦٣ م ، ص ١٦٦ .

(١٣) عبد الحميد زايد: من أساطير الشرق الأدنى القديم ، مجلة عالم الفكر ، العدد الثالث ، وزارة الاعلام ، الكويت ١٩٧٥ ، ص ٢١٠ .

وفي سبأ القديمة كانوا يقدّمون لكوكب الزهرة (عُثْر) كثيراً من القرابين من أجل الاستسقاء (١٤).

ومعظم الآلهة القديمة كان العُباد يتوسّلون إليها من أجل المطر، لكن الانسان القديم كان ينظر إلى المطر من حيث هو قوة كونية يمكن أن تُستدعى دوناً وساطة الآلهة، بالجهد الانساني المحض، وبالتعاون والسحر والظُلُسمات والتنبؤ، والساحر البدائي لا يعرف سوى الجانب العملي من السحر، وهو لا يحلل العمليات الذهنية التي تقوم عليها أفعاله وممارسته، كما أنه لا يُشغل نفسه بالتأمّل والتفكير في المبادئ المجردة التي تنطوي عليها تصرفاته (١٥)، إنما كان يُعنى بالنتيجة التي يؤمن إيماناً مطلقاً بحتمية حصولها.

(أ) حجر المطر

وقد أورد القزويني في مؤلّفه المشهور «آثار البلاد وأخبار العباد» بعض الأساليب السحرية التي تستخدمها شعوب الشرق للسيطرة على السحب والتحكّم في نزول المطر، فقال :

الترك يجلبون المطر والثلج متى شاءوا بحجارة لديهم، فإذا أرادوا المطر حرّكوا منه شيئاً، فينشأ الغيم، ويوافي المطر، وإن أرادوا الثلج زادوا في تحريكها، فيوافيهم الثلج والبرَد (١٦).

وفي بلاد الترك جبل إذا اجتاز عليه الغنم شدّت أرجلها بالصُوف لئلا تصطك حجارة فيعقّبها المطر (١٧).

والترك يستمطرون المطر بالحجر الذي يرمونه في الماء (١٨). وهذه الممارسات لها علاقة

(١٤) ديتلف نيلسن : التاريخ العربي القديم، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٨، ص ١٣٨.

(١٥) جيمس فريزر: الغصن الذهبي، ج ١ ص ١٠٦.

(١٦) القزويني، زكريا بن محمد : آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت ١٩٦٠م، ص ٥١٥.

(١٧) المصدر السابق، ص ٥١٦.

(١٨) المصدر السابق، ص ٥٩٠.

بإشعال النار، لأن قَدَح الحجارة يؤدي الى النار، والنار استخدمت في طقوس العبادة منذ القدم (١٩).

وقال القزويني: ومن عجائب الدنيا أرض بين كرمان وجاريح إذا احتك بعض أحجارها ببعض يأتي مطر عظيم، وهذا شيء مشهور عندهم، حتى إنَّ مَنْ اجتاز بها يَتَنَكَّب عنها كيلا تحتك تلك الحجارة، فيأتي مطر يهلك الناس والدواب (٢٠).

وفي «طليطلة» (حجر المطر) وهو ما أخبر به بعض المغاربة أنَّ بقرب «طليطلة» حجر إذا أراد القوم المطر أقاموا يَحْكُونَهُ فلا يزال يأتي بالمطر إلى أن يلقوه، وكلما أرادوا المطر فعلوا ذلك (٢١).

وأخبر عن هذا الحجر طاش كبرى زاده، فقال (٢٢):

إنَّ عند الاتراك في الجبال حجارةً جالبةً للمطر، وهم يعرفونها ويلقونها في الماء، ويعملون بعضاً من الأعمال شبيهة أعمال السحر، ويتكلمون بكلمات مُتَضَمِّنَةٌ للكفر.

هكذا سمعتُ مَنْ رأى هذا العمل من الأتراك، قال: فينزل المطر في الحال حتى إنَّ رأس الفرس تحت الثلج والمطر، ونصفه الآخر تحت الشمس.

وأشار «شيخ الربوة» إلى (حجر الماء) نقلاً عن أرسطو، قال: هو حجر أبيض، إذا شددته على سرة المستسقى ليلاً وتُرك إلى الصبّاح، ثُمَّ جُعِلَ في الشمس قَطَرَتْ منه قطرات من الماء (٢٣).

وحكى صاحب «تحفة الغرائب»: أنَّ بارض أرمينية بيت نار له سطح وميزاب من النحاس، وتحت الميزاب حوض كبير من الرُخام، وفي البيت مجاورون، كلُّما قَلَّ المطر

(١٩) جيس فريرز: أدونيس، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، دار الصراع الفكري، بيروت ١٩٥٧ م، ص ٩٢ و ١١٩.

والنويري: نهاية الارب في فنون الأدب، دار الكتب المصرية (دون تاريخ) ج ١ ص ١٠٥.

(٢٠) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٢٤٧.

(٢١) القزويني: آثار البلاد، ص ٥٤٦.

(٢٢) طاش كبرى زاده: مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، الهند (دون تاريخ) ج ١ ص ٣٥٦.

(٢٣) شيخ الربوة: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، طبعة ليبزج ١٩٢٣ م، ص ٧٥.

بتلك الناحية أوقدوا نارهم ، وغسلوا سطح البيت بماء نجس ، حتى ينصب من الميزاب الى الحوض ، ثم يرشون البيت بذلك الماء النجس ، فعند ذلك تُشتر السماء بالغمام وتمطر حتى يُغسل السطح والميزاب والحوض ، ويمتلىء من الماء الطاهر (٢٤) .

وهذه الأساليب السحرية تظهر غالباً في المجالات التي تظهر فيها عناصر الاحتمال والطوارئ ، كما تبرز فيها العلاقة بين الأمل والخوف ، والسحر يختفي حيث يكون الهدف مضموناً ، وحيث تتم السيطرة على الأعمال ، وتقوى ممارسة السحر عندما يبرز عنصر الخطر . والسحر يسمح للإنسان القديم الاحتفاظ بآثاره العاطفي والذهني والعصبي في ظروف صعبة ، ولو خلت حياته من الممارسات السحرية لتعرض الى الانهيار النفسي والقلق والتوتر ، والشعور بالكراهية (٢٥) .

وقد شاعت هذه الممارسات السحرية في كل أنحاء العالم ، ويبدو أن السحر التشاكي أو التشبيهي كان من أكثر الممارسات السحرية ، استخداماً لجلب المطر وهذه التعويذة تعتمد تقليد البرق والرعد وتمثيل السحب وسقوط المطر ، وشاع استخدامها في روسيا واليابان وأستراليا وأفريقيا (٢٦) .

(ب) الفرس والمطر

وتحدث القزويني عن طريقة أخرى في الاستسقاء شاعت عند الصينيين قال : في الصين قرية عندها غدير فيه ماء ، في كل سنة يجتمع أهل القرية ويلقون فرساً في ذلك الغدير ، والناس يقفون على أطرافه ، كلما أراد الفرس الخروج من الماء منعوه ، وما دامت الفرس في الماء يأتهم المطر ، فاذا مطروا قدر كفايتهم ، وامتلاء الغدير أخرجوا الفرس وذبحوه على قلة الجبل ، وتركوه حتى تأكله الطير ، فان لم يفعلوا ذلك في شيء من السنين لم يُمطروا (٢٧) .

(٢٤) القزويني : آثار البلاد ، ص ٤٩٦ .

(٢٥) د. قيس النوري : الأساطير وعلم الأجناس ، دار الكتب ، الموصل ١٩٨١ ، ص ١١٢ .

(٢٦) جيمس فريزر : الفصن الذهبي ، الهيئة المصرية العامة ١٩٧١ م ، ج ١ ص ٢٨٨ .

(٢٧) القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٥٤ .

وهذه العلاقة السحرية بين الفرس وسقوط المطر كانت واضحة في عقل الشاعر العربي ، لذلك اقترن وصفهم للخليل بالمطر ، وكثيراً ما نرى في صورة الخيل المتوترة المتحفزة التي تهبط بسرعة صورة الغيث المسترسل المنسكب الذي يتلقاه الانسان بخوفٍ وتهيبٍ ، كقولهم :

- | | |
|---|--|
| - فأتبع آثار الشياهِ وليدنا | كشُبوب غَيْثٍ يَحْفِشُ الأُكُمَ وابله (٢٨) |
| - وأدركهنّ ثانياً من عَنانهِ | كغَيْثِ العشيِ الأَقْهَبِ المَوْدَقِ (٢٩) |
| - وولّى كشُبوب العشيِ بوابِلِ | و يَخْرُجْنَ من جَعْدٍ نَراهِ مُنْصَبِ (٣٠) |
| - فأتبع آثار الشياهِ بصادقِ | حَثِثِ كغَيْثِ الرّائِحِ المُتَحَلِّبِ (٣١) |
| - وَهَضْنَ الحَصَا حَتَّى كَأَنَّ رُضَاضَهُ | دُرَى بَرَدٍ من وابلٍ مُتَحَلِّبِ (٣٢) |
| - طَوْنُهُ المَنَايَا فَوْقَ جَرْدَاءِ شَطْبَةٍ | تَدِفُ دَفِيفَ الرّائِحِ المُتَمَطِّرِ (٣٣) |
| - وخيل كَأَسْرَابِ القَطَا قَدْ وَزَعَتْهَا | لَهَا سَبَلٌ فِيهِ المَنِيَّةُ تَلْمَعُ (٣٤) |
| - تَظَلُّ جِيادُنَا مُتَمَطِّرَاتٍ | تُلَظْمُهُنَّ بالخُمُرِ النِّسَاءُ (٣٥) |

- (٢٨) زهير بن أبي سلمى ، الديوان ، دار الكتب المصرية ١٩٤٤م ، ص ١٣٥ الشُبوب : الدفعة من المطر ، يحفش : يخرج ويسبل ، الأُكُم : جمع الآكمة .
- (٢٩) امرؤ القيس : الديوان ، محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف بمصر ١٩٦٤م ، ص ١٧٤ الأَقْهَبِ : الذي لونه القهبة أي السواد ، المَوْدَقِ : المحفل بالوَدَق وهو المطر .
- (٣٠) المصدر السابق ، ص ٥٠ ، الجعد : الشديد النداء ، المنصب : المرتفع المنتصب ، الشُبوب : دفعة المطر .
- (٣١) علقمة الفحل ، الديوان ، تحقيق : لطفي الصقال ، دار الكتاب العربي ، حلب ١٩٦٩م ، ص ٩٤ .
- المتحلب : المطر المنصب ، الرائح : الطائر يعود إلى موضعه .
- (٣٢) الطفيل الغنوي ، الديوان ، تحقيق : محمد عبد القادر أحمد ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ١٩٦٨م ص ٢٦ . الوهن : شدة الوطء ، رضاضة : ما ترضض منه وتكسر ، ذرى برد : أعاليه .
- (٣٣) لبيد بن ربيعة العامري ، الديوان ، تحقيق : احسان عباس ، وزارة الارشاد والأنباء ، الكويت ١٩٦٢م ص ٤٩ ، الشطبة : الطويلة ، اللَّف : طيران قريب من الأرض ، المتمطر : أصابة مطر ، الرائح : الطائر الذي يعود الى موضعه .
- (٣٤) مجمع بن هلال ، ديوان الحماسة لأبي تمام ، تعليق : محمد عبد المنعم خفاجي ، القاهرة ١٩٥٥م ج ١ ص ٢٩٧ ، وزعتها : كنفتها لتجتمع ، السبل : المطر .
- (٣٥) حسان بن ثابت الأنصاري ، الديوان ، تحقيق : سيد حنفي ، الهيئة المصرية العامة ، مصر ١٩٧٤م ، ص ٧٣ . متمطرات : خارجات من جهوز الخيل في سرعتها ، من تمطر الفرس أمام الخيل : اذا سبقها خارجاً منها .

فالشعراء كلهم يعتمدون في وصفهم للخيل على فكرة المطر، و يُكَوِّنون في أوصافهم عَالَمًا أَشْبَهُ ما يكون بعالم المطر.. شُؤْبُوبٌ غَيْثٌ، شُؤْبُوبٌ الْعَشِيّ، الْغَيْثُ الْمُتَحَلِّبُ، الْبَرْدُ الْوَابِلُ الْمُتَحَلِّبُ، دَفِيفُ الرَّائِحِ الْمُتَحَلِّبُ، لَهَا سَبَلٌ (مطر)، مُتَمَطِّرات... وقد اعتمد امرؤ القيس في وصفه المشهور للفرس على فكرة السَّيْلِ، فَشَبَّهَ الفرس بالصَّخْرَةِ التي سقط بها السَّيْلُ من قِمَّةٍ عالية، و يبدو السَّيْلُ في هذه العبارة الى حد ما أهم من الصخرة نفسها، ثم أثبت فكرة السيل مرة أخرى في قوله :

كَمَيْتَ يَزِلُّ اللَّبْدُ عَنْ حَالٍ مَثْنِيهِ كَمَا زَلَّتِ الصَّفْوَاءُ بِالْمُتَنَزِّلِ

وأشد من ذلك غرابة أَنَّ امرأ القيس جعل كل ما يتعلق بفرسه جزءاً من هذا السيل .. فهو مُسَيِّحٌ وسابح ودرير... وكلها تُؤَلَّفُ عالماً واحداً أقرب ما يكون إلى عالم المطر (٣٦).

(ج) الاستحمام والمطر

وأشار جيمس فريزر إلى طقوس عرب أفريقيا في الاستسقاء إذ يلجأ الناس الى الاستحمام وسيلة سحرية لجلب المطر، وقد يلقون بأحد رجال الدين - سواء أرضي أم لم يرضَ في أحد الينابيع للتغلب على الجَدْب (٣٧).

وقد أشار المؤرخ اليوناني «ديوكاسيوس» الى طقوس صانع المطر عند الرومان، بأن يستحم في العراء. وهذا الطقس يمارس الى اليوم (٣٨).

وهذه الرُقَى السحرية من قبيل السحر «التشاكلي» أو «التشبيهي»، ومن الثَّابِت أَنَّ هناك عادة ما زالت مُتَّبَعَةً في أوروبا، في عصر جيمس فريزر (أواخر القرن التاسع عشر) لاستنزال المطر، وهي أَنَّ يُكْنَسَ شخص بأوراق الشَّجَر ثم يُصَبُّ الماء عليه، وهذا الشخص لا ريب يمثل الزرع، كما أَنَّ عادة صبِّ الماء على آخر ما يُحَصَد من سنابل يراد منها

(٣٦) د. مصطفى ناصف : قراءة ثانية لشعرنا القديم، منشورات الجامعة الليبية، كلية الآداب (دون تاريخ) ص ٧٨ وما بعدها.

(٣٧) جيمس فريزر: الفصحى الذهبي، ص ٢٧٠.

(٣٨) جيمس و. بيلارد: الصحراء الكبرى، مكتبة الفرجاني، طرابلس، ليبيا ١٩٦٧م، ص ٤٢.

استنزال المطر على الحقول في السّنة التالية (٣٩) .

(د) غسل الثياب والمطر

وتحدث « الجاحظ » عن (غسل الثياب) وسيلة سحرية لنزول المطر في أبيات رواها عن « سعد المطر » قال فيها (٤٠) :

دَعِ المواعيد لا تَعْرِضْ لَوَجْهِتِهَا إِنَّ المواعيدَ مقرونٌ بها المَطَرُ
إِنَّ المواعيدَ والأعيادَ قد مُنينا منه بأنكر ما يُمنى به بَشَرُ
أَمَّا الثياب فلا يغرركَ إِنَّ غُسْلَت صَحْوٌ قديمٌ ولا شمسٌ ولا قَمَرُ

وروى التيفاشي أبياتاً أخرى تؤكد الاعتقاد بهذا الطقس السحري ، قال شاعر: (٤١) .

قد قلت إذ خرجوا لكي يَسْتَمْطَرُوا لا تَفْنَطُوا وَأَسْتَمْطَرُوا بِشِيَابِي
لوفي حزيران هَمَمْتُ بِغَسْلِهَا غَطَّى ضياء الشمس جَوْثُ سَحَابِ
ونفهم من قول « اسماعيل بن حمدويه » أَنَّ غسْل الثياب تعويذة سحرية يُسْتَدْعَى بها المَطَرُ ، قال : (٤٢)

وفي ظَنِّهم أَنَّ قَدْ أُجِيبَ دُعَاؤُهُمْ وما عَلِمُوا أَنِّي غَسَلْتُ ثِيَابِي
وفي بعض قرى المانيا يُعْمَل لآخر عنقود دُرّة دُمِيّة في هيئة امرأة ثم تُغْمَر بالماء كما لو كانت تُبَلَّل بالمطر ، وهذا الرشّ بالماء هو نوعٌ من المطر السّحري (٤٣) .

(٣٩) جيمس فريزر: أدونيس ، ص ١٥٧ (سبق ذكره) .

(٤٠) الجاحظ : البرصان والعرجان ، تحقيق : محمد مرسي الخولي ، الاعتصام ، القاهرة ١٩٧٦م ص ٨٥ والثعالبي : ثمار القلوب ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم دار نهضة مصر ١٩٦٥ ، ص ١٠٤ .

(٤١) التيفاشي : سرور النفس بمدارك الحواس الخمس ، تحقيق : د. احسان عباس المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٨٠ ، ص ٢٨٤ .

(٤٢) ابن شاعر الكتبي : فوات الوفيات ، تحقيق : د. احسان عباس ، دار صادر بيروت ١٩٧٣ و ١٩٧٤م ، ج ١ ص ١٧٣ — ١٧٧ ، وسرور النفس ص ٢٨٣ .

(٤٣) د. قيس النوري : الأساطير وعلم الأجناس ، ٤٧ (سبق ذكره) .

(هـ) طقوس أخرى

وفي أمريكا الوسطى يقترب إله المطر اسطوريا بالنمر الأمريكي الموجود في غاباتها ، وهناك كثير من التماثيل الصغيرة التي تُمثِّل هذا الاقتران (٤٤) .

وعندما تُجهض المرأة تتوقع «قبائل البانتو» أن تهب الرياح العاصفة المُدَمِّرة ، ذات الحرارة العالية ، وتنقطع الأمطار عن السقوط ، ويسود الجفاف (٤٥) . وربما كان هذا ما يشير إليه خفاف بن نُدبة السُّلَمي في شعره ، قال (٤٦) .

إذا الحَسَناء لم تَرَحُضْ يَدَيها	ولم يُقْصِرْ لَهَا بَصَرُ بَصِيرِ
قَرَوْا أَضْيَافَهُمْ رَبْحاً بِبُحِّ	تَبَجِيءُ بُعْبُقَرِي الوَذْقِ سُمُرِ
هُمْ الْأَيْسَارُ إِنْ قَحَطَتْ جُمَادَى	بَكُلِّ صَبِيرٍ سَارِيَةٍ وَقَطَرِ (٤٧)

فإِجْهَاضُ الْحَسَنَاءِ يَعْنِي الْجَفَافَ وَالْجَدْبَ وَأَنْقِطَاعَ الْمَطَرِ .

(و) بيوت الله والمطر

وكان الْعَرَبُ يَفْزَعُونَ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ عِنْدَ الْأَزْمَاتِ ، وَتُرَوَّى الْأَخْبَارُ أَنَّ الْمَطَرَ انْحَبَسَ عَنْ قَوْمِ «عَاد» وَابْتَلَاهُمْ اللَّهُ بِالْقَحْطِ ثَلَاثَ سِنِينَ اسْتِجَابَةً لَدَعْوَةِ «هُود» عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَأَجْمَعَ الْقَوْمُ أَمْرَهُمْ عَلَى الْمَسِيرِ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ يَسْتَسْقُونَ الْغَيْثَ .

وكان الناس في ذلك الزَّمان إذا نزلت بهم فادحةٌ ، أو نابتهم نائبةٌ ، أو جهدهم قحط أو غيره ، فَرَعَوْا إِلَى اللَّهِ فَيَأْتُونَ إِلَى الْبَلَدِ الْحَرَامِ يَطْلُبُونَ مِنْ اللَّهِ حَوَائِجَهُمْ .

(٤٤) د . قيس النوري : الأساطير وعلم الأجناس ، ص ١١٧ (سبق ذكره) .

(٤٥) المصدر السابق ، ص ٨٧ .

(٤٦) شعر خفاف بن نُدبة ، تحقيق : د . نوري القيسي ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٦٨ م ، ص ٥٢ .

(٤٧) لم ترحض يديها ، لم تغسلها ؛ لأنها أجهضت أو للثقاس ، لم يقصر لها بصريستر : لم تمنع من الخروج ، ولم تحبس في البيت ، النَّجْحُ : قَدْحُ الْمَيْسِرِ ، الرَّيْحُ : الْفَصِيلُ ، الصَّبِيرُ : السَّحَابُ الْأَبْيَضُ .

فلما أجمعوا على المسير إلى «مكة» ليستسقوا ، جهزوا من عظمائهم ، وأشرافهم ، وذوي أحسابهم سبعين رجلاً ، ساروا حتى أتوا «مكة» فنزلوا على (بكر بن معاوية) زعيم العماليق ، يأكلون الخبز واللحم ، ويشربون الخمر ، ونسوا أمرهم ، فذكّرهم (بكر بن معاوية) بقومهم ، وما جاءوا من أجله ، فلاذوا بالكعبة يدعون ويتضرعون ، يتقدمهم زعيمهم «قيل بن عنز» فقال : جئت أطلب القطر ، الذي يُنبِت الشجر ، ويكثر الثمر ، ويحيي البشر ، ويصلح به قومي وبلادي .

ثم لاذ «لقمان بن عاد» بالكعبة ودعا وتضرّع ، فتوذي : قد أجبت دعوتك ، وأعطيت سُؤلك ، ولا سبيل إلى الخلود ، واختران شئت بقاء سبع بقرات عُقر في جبل وعر ، لا يمسهن دُغر . وإن شئت بقاء سبع نويات من تمر مستودعات في صخر ، لا يمسهن ندى ولا قَطَر . وإن شئت بقاء سبعة أنسر ، كلما هلك نسر عقب بعده نسر . قال : فكان أن اختار سبعة أنسر .

فأرسل الله — تعالى — على قومه سحابة سوداء عُقيمت من الرّحمة ولقحت بالعذاب بريح صرصر عاتية . (٤٨) قال تعالى : (٤٩) .

« لما رأوه عارضاً مُستقبل أوديتهم ، قالوا : هذا عارض مُمطرنا ، بل هو ما استعجلتهم به ريحٌ فيها عذابٌ أليمٌ ، تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ... »

(س) الاستسقاء بالأنبياء والأولياء والقديسين

وعندما جاء الاسلام ، واجه الرسول — صلى الله عليه وسلم — مشكلة القحط والجفاف ، وسُئل أكثر من مرة أن يأتيهم بالغيث . ويروى أن قريشاً أصابتهم سنة حتى فَحَصَتْ كل شيء ، حتى أكلوا الجيف والميتة ، حتى إنَّ أحدهم كان يَرى ما بينه وبين السماء كهيئة الدُّخان من الجوع .

(٤٨) وهب بن منبه : كتاب التيجان في ملوك حير ، طبع وزارة المعارف العثمانية ، الهند ١٣٤٧ هـ ، ص ٣٢٥ . وفي هذا الخبر

رواية أخرى ذكرها الطبري في : تاريخ الرسل والملوك ، دار المعارف بمصر ١٩٦٧ م ، ج ١ ص ٢١٩ وما بعدها .

(٤٩) الأحقاف ، الآية ٢٤ وما بعدها .

فقليل للرسول يوم الجمعة : يا رسول الله ، قحط المطر ، وأجذبت الأرض ، وهلك المال .
قال أنس : فرفع يديه حتى رأيت بياض أبطيه ، فاستسقى ، ولقد رفع يديه وما نرى في
السّماء سحابة فما قضينا الصلاة حتى إنّ قريب الدّار الشاب ليهمّه الرّجوع إلى أهله .

وكان الرسول — صلى الله عليه وسلم — قد تضرّع إلى الله وقال في الاستسقاء : اللّهمّ ،
اسقنا غيثاً ، مُغيثاً ، هنيئاً ، مريئاً ، غَدَقاً ، مُجَللاً ، سَحّاً ، عامّاً ، طبَقاً ، دائماً .

اللّهمّ ، اسقنا الغيث ولا تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَانِطِينَ .
اللّهمّ ، إنّ بالعباد والبلاد من اللّأواء ، والجَهد ، والضّئكَ ما لا نشكوه إلّا إليك .
اللّهمّ ، أنبت لنا الزّرع ، وأدرّ لنا الصّرع ، واسقنا من بركات السّماء ، وأنزل علينا من
بركائك .

اللّهمّ ، ارفع عنا الجهد والجوع والعُرى ، واكشف عنا من البلاد ما لا يكشفه
غيرك (٥٠) .

وفي الرسول - صلى الله عليه وسلم - قال أبو طالب بن عبد المطلب (٥١) .

وأبيض يُسْتَسْقَى العَمَامُ بَوَجْهِهِ ربيعُ اليتامى عِصْمَةٌ للأرامل

وفي أخبار لبيد بن ربيعة العامري أنه وَقَدَّ على الرّسول ، وقومه يعانون المجاعة ، وطلب إليه
أن يدعوهم بالسّقياء ، وهذه المجاعة هي السبب في تفرّق (بنّي عامر) وفي ذلك قال لبيد
يخاطب الرسول . (٥٢)

أَتَيْنَاكَ وَالْعَذْرَاءُ يَدْمِي لَبَانُهَا وَقَدْ ذُهِلَتْ أُمُّ الصَّبِيِّ عَنِ الطِّفْلِ
فَإِنْ تَدْعُ بِالسَّقِيَاءِ وَبِالْعَقْوِ تُرْسِلِ السَّمَاءُ لَنَا ، وَالْأَمْرُ يَبْقَى عَلَى الْأَصْلِ

- (٥٠) انظر: أبو نعيم الأصفهاني : دلائل النبوة ، طبع عالم الكتب ، بيروت (دون تاريخ) ص ١٦٠ .
والتيفاشي : سرور النفس بمذراك الحواس الخمس ، ص ٢٨٢ (سبق ذكره) ومحمد السفاريني الخبلي .
شرح ثلاثيات مسند الامام أحمد (المكتب الاسلامي ، دمشق ١٣٨٠ هـ) ج ١ ص ٦٤٨ و ص ٦٦٢ .
والحافظ ابن كثير : البداية والنهاية (دار الفكر ، بيروت ١٩٧٨ م) ج ٣ ، ص ١٠٧ .
(٥١) ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء ، شرحه : محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة (دون تاريخ) ص ٢٠٤ .
(٥٢) لبيد بن ربيعة : الديوان ، ص ٢٧٧ (سبق ذكره) .

وقد أجمع جمهور الأئمة والفقهاء على أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ الاستشفاع بأهل الصلاح والتقوى ، وأهل بيت النبوة في الاستسقاء ، ولما صعد (عمر بن الخطاب) قابضاً على يد (العباس) يوم الاستسقاء ، ولم يزد على الدعاء والاستغفار ، فقل له :
إِنَّكَ لَمْ تَسْتَسْقِ ، وَإِنَّمَا كُنْتَ تَسْتَغْفِر .

قال : قد استسقيت بمجاريح السماء (٥٣) . ذهب الى قوله تعالى : (٥٤)
« استغفروا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً » .
ورُوي أَنَّ (العباس) قال يوم استسقى (عمر بن الخطاب) به :

اللَّهُمَّ ، إِنَّهُ لَمْ يَنْزِلْ بِلَاءٌ إِلَّا بِذَنْبٍ ، وَلَا يُكْشَفُ إِلَّا بِتُوبَةٍ ، وَقَدْ تَوَجَّهَ الْقَوْمُ إِلَيْكَ بِالذُّنُوبِ ، وَنَوَاصِينَا بِالتُّوبَةِ ، فَاسْقِنَا الْغَيْثَ (٥٥) .

وفي حديث امرأة أبي الأسود الدؤلي لمعاوية بن أبي سفيان ، قالت : (٥٦)
« إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ خَلِيفَةً فِي الْبِلَادِ ، وَرَقِيباً عَلَى الْعِبَادِ ، يُسْتَسْقَى بِكَ الْمَطَرُ ، وَيُسْتَتَبُ بِكَ الشَّجَرُ ... »

وكان عرب البادية إذا جاءهم قحط يتوسلون إلى الله - تعالى - بـ « محمد بن المنكدر »
فِيُسْقَوْنَ الْغَيْثَ (٥٧) .

ويروى أَنَّ « الوليد بن القعقاع » كان عاملاً على بعض الشام ، وكان يُسْتَسْقَى فِي كُلِّ خُطْبَةٍ .. فيمطرون ، فقام إليه شيخ من أهل حمص ، فقال : أصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ إِذْنُ تُفْسِدَ « الْقَطَانِي » يعني : الحبوب . (٥٨) .

وقد استمر الاعتقاد بقوة الأَوْلِيَاءِ وَأَصْحَابِ التَّقَى وَالْقِدَّيسِينَ وَالْمُتَّصِفِينَ عَلَى انْزَالِ

(٥٣) المجدح : نجم من النجوم كانت العرب تزعم أَنَّهُ يَطْرُ ، يجعلونه من الأنواء ، يريد أَن الاستغفار هو ما يستسقى به .

(٥٤) نوح ، آية ١١ .

(٥٥) الجاحظ : البيان والتبيين ، تحقيق : عبد السلام هارون ، مصر ١٩٦٨ م ، ج ٣ ص ٢٧٩ .

وابن قتيبة : عيون الأخبار ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٤٣ ، ج ٢ ص ٢٧٩ .

(٥٦) أحمد بن أبي طاهر : بلاغات النساء ، النجف الأشرف ، العراق ١٣٦١ هـ ، ص ٤٧ .

(٥٧) المقرئ : المختار من نوادر الأخبار ، مخطوط دار الكتب المصرية ورقة ١٦ .

(٥٨) الجاحظ : البيان والتبيين ج ٤ ص ١٩ (سبق ذكره) .

المطر حتى عصور متأخرة ، فمن الممارسات القديمة التي شاعت عند قبائل صحراء شمال أفريقيا أنَّ الجفاف عندما يُهَدَّد حياتهم يُلقون أحد الشيوخ الروحيين في بركة ماء اعتقاداً منهم أنَّ ذلك سيؤدي إلى نزول المطر^(٥٩) .

و يُحَدِّثُنا «جورج غير ستر» عن قصة فاتح مدينة «سيدراته» الذي استدعى خَزَنَةَ الآبار ، وأمرهم بتنظيف البئر الأصلية في «سيدراته» لكن ضغط الماء كان شديداً ، فتوسَّلوا إلى أولياء الله السبعة المرابطين في المنطقة أن يستخدموا قُوَّاهم الغيبية في تخفيف قوة الماء ، وقد تَمَكَّن الأولياء من ذلك ، ولكنَّهم لم يستطيعوا أن يعيدوا الماء إلى ما كانت عليه ، فغضب السلطان ، وأمر بقطع رؤوسهم^(٦٠) .

ووصف فريزر مثل هذه الممارسات السحرية ، ففي (بالرمو) بصقلية فقد ألقى الناس بالقدِّيس يوسف في إحدى الحدائق ، وأقسموا أن يتركوه في الشمس إلى أن يأتي اليهم بالمطر .

وفي (ليكاتا) لقي القدِّيس أنجيلور معاملة سيئة ، فقد تركه الناس دون ملابس ، وسبَّوه وقيدوه بالحديد ، وهدَّوه بالغرق أو الشنق إذا لم يأتهم بالمطر وكانوا يصيحون وهم يلوِّحون بأيديهم : «المطر أو حبل المشنقة» .^(٦١)

و يروى عبد الرحمن عزام باشا قصة ذلك المعبود البشري الذي يُقَدِّسه الزوج - في مطلع القرن العشرين - في جبال النوبة ، و يقدمون له القرابين والهدايا كي يأتِيهم بالمطر ، فإنَّ أبي تحقيق مطالبهم ، بالغوا في دعائه واسترضائه ، حتى إذا يسَّوا منه سجنوه ، وربما قتلوه .^(٦٢)

(ح) الاستسقاء بالموتى

وللموتى أهمية كبيرة في الاستسقاء ، فقد آمنت أكثر الشعوب بوجود حياة ما في القبر ، وأنَّ روح الميت تعي وتفعل وتُفَكِّر ، وتؤثِّر في الآخرين وتتأثَّر بتصرفاتهم .

(٥٩) د. قيس النوري : الأساطير وعلم الأجناس (دار الكتب ، الموصل ١٩٨١م) ص ١٥١ .

(٦٠) جورج غير ستر : الصحراء الكبرى (تعريب : خيرى حماد ، المكتب التجاري ، بيروت ١٩٦٠م) ، ص ١٥٠ .

(٦١) جيمس فريزر : الفصحى الذهبي ، ج ١ ص ٢٨١ - ٢٨٢ .

(٦٢) عبد الرحمن عزام ، الرسالة الخالدة ، ص ٦ - ٧ .

وقد اعتقد عرب الجاهلية بـ «الهامة» و «الصدى» وقالوا : هو طير يخرج من رأس القتيل يصيح و يزق يطلب الثأر، فلا يهدأ ولا يسكن ولا تطمئن الروح حتى تُسقى من دم القتال .

وسقوا القبور بدماء الخيل والنوق التي تُعقر على القبور ليركبها الميت يوم الحشر .

واستسقوا بعضا الموتى ، وهذه الشعيرة من المعتقدات الشائعة عند العبرانيين أيضاً ، فقد آمنوا بأن المطر ينزل بواسطة الطقوس السحرية التي تُجرى على عظام الموتى ، خاصة عظام الأمراء الذين كثيراً ما يُنتظر منهم أن يُنزلوا المطر وهم أحياء (٦٣) .

وحين يشتد الجذب عند قبائل (الديري) في أواسط استراليا يتوسل الرجال الى أرواح أسلافهم القدامى أن يهبوهم القدرة على اسقاط الأمطار الغزيرة لاعتقادهم أن السحب ما هي إلا أجسام تتولد فيها الأمطار بفضل الطقوس التي يمارسونها ، وبفضل أرواح الأجداد (٦٤) .

أما قبائل (خليج ديلاج) فيغمرون بالماء قبور أسلافهم - خاصة - قبور التوائم وسيلة سحرية لجلب المطر (٦٥) .

و يعتقد الصينيون أنه اذا تُركت جثة شخص ميت دونما دفن ، فإن روحه تنزعج من المطر بالطريقة نفسها التي ينزعج بها الشخص الحي حين تفاجئه الأمطار الغزيرة ، لذلك فإن هذه الأرواح البائسة تعمل ما وسعها لتمنع المطر من السقوط . ومن هنا كانت السلطات الصينية تهتم أشد الاهتمام في أوقات الجذب بدفن العظام الجافة للموتى الذين لم يُدفنوا من قبل لوضع حدّ للبلاء (٦٦) .

(٦٣) جيمس فريزر: أدونيس (دار الصراع الفكري ، بيروت ١٩٥٧م) ص ٢٣ .

(٦٤) جيمس فريزر: الغصن الذهبي ، ص ٢٥٥ .

(٦٥) المصدر السابق ، ص ٢٧٣ .

(٦٦) المصدر السابق ، ص ٢٧٥ .

وهذه الطقوس السحرية كانت تُمارس عند العرب منذ القدم . قال ابن قتيبة (٦٧) إنّ عظام (سلمان بن ربيعة الباهلي) كانت عند أهل (بلنجر) في تابوت ، اذا احتبس عليهم المطر ، أخرجوها فاستسقوا بها فسقوا . قال عبد الرحمن بن جمانة الباهلي في قبر (سلمان) وقبر (قتيبة بن مسلم الباهلي) (٦٨) .

إِنَّ لَنَا قَبْرَيْنِ : قَبْرَ بَلَنْجَرٍ وقبراً بصين آستان يالك من قبر
فأما الذي بالصّين عمّت فتوحه وسلمانٌ يُستسقى بها سبل القَطْرِ

وقال ابن خلكان في ترجمته لأبي بكر ابن فورك : المتكلم ، الأصولي ، الأديب الواعظ الأصبهاني (٦٩) :

«دفن بالحيرة ، ومشهده بها ظاهر ، يُزار ويُستسقى به ، وتُجَاب الدعوة عنده» .

ووصف القزويني قبر أبي أيوب الأنصاري صاحب رسول الله - صلى الله علي وسلم - الموجود في القسطنطينية ، قال (٧٠) :

تربته معظمة عند النصارى ، يكشفون سُقْفها عند الاستسقاء اذا قحطوا فيُغاثون » .

ويتكرّر في الشعر الجاهلي الدُّعاء بسُقْيَا القبور : إمّا إرضاءً للهامة والصدى ، لتهداً الروح الحائرة وتستقر ، وإمّا لاعتقادهم بأن الموتى يمارسون حياة عادية في القبر ، فيعطشون ويشربون .

قال أوس بن حجر في رثاء ، فضالة بن كعدة (٧١) :

(٦٧) ابن قتيبة : كتاب المعارف تحقيق : ثروت عكاشة ، دار المعارف بمصر ١٩٦٩ م ص ٤٣٣ . والحاجظ : البرهان والعرجان ص ٢٠٩ .

(٦٨) الجاحظ : البرهان والعرجان ، تحقيق : د . محمد مرسي الخولي ، ص ٢٠٩ .

(٦٩) ابن خلكان : وفيات الأعيان : طبع بيروت ، ١٩٧٢ م ، ج ٤ ص ٢٧٢ وانظر الخبر أيضاً عند القزويني : آثار البلاد ، ص ٢٩٧ .

(٧٠) القزويني : آثار البلاد ، ص ٦٠٦ .

(٧١) أوس بن حجر : الديوان ، تحقيق د . محمد نجم ، دار صادر ، بيروت ١٩٦٧ م ص ١٠٥ .

لا زال مِسْكٌ وَرَيْحَانٌ لَهُ أَرْجٌ على صدك بصافي اللون سلسال
يسقي صدك ومُفساه ومُضْبَحُهُ رفهاً ورْمُسُكَ مَخْفُوفٌ بِأُظْلَالِ
وقال أيضاً: (٧٢)

لا زال ريحانٌ وفَغُو ناضرٌ يجري عليك بمُسْبِلٍ هَطَّالِ
وقال النابغة يرثي النعمان بن الحارث بن أبي شمر الغساني: (٧٣)

سقى الغيث قبراً بين بُضْرَى وجاسم بغيثٍ من الوسمي قَطْرٌ ووابِلُ
ولا زال ريحانٌ ومِسْكٌ وعنبرُ على منتهاه ديمَةٌ ثُمَّ هَاطِلُ
وقال حاتم الطائي: (٧٤)

أماويٌّ إِنْ يَصْبَحُ صَدَايَ بِقَفْرَةٍ من الأرض لا ماء لُدَيَّ ولا خَمْرُ
تري أَنَّ ما أَهْلَكَتْ لَمْ يَكُ ضَرَّتِي وَأَنْ يَدَيَّ مِمَّا بَخِلْتُ بِهِ صِفْرُ

وقال حاتم يرثي ملحان بن حارثة بن سعد بن حشرج: (٧٥)

فلا أَنفَكَ رَمْسٌ بَيْنَ أَضْرَعٍ فَالْلَوَى يصبُّ عليه الله وَدَقًّا مَجَلَلَا
وقالت الخنساء ترثي صخرًا:

- سقى الإله ضريحاً جَنَّ أعظمه وروحهُ بغزير المُنْ هَطَّال (٧٦)
- سقى جَدَثًا، أَكْنافَ غَمْرَةٍ دُونَهُ من الغيث ديماتُ الربيع ووابله (٧٧)
- أسقى الإله ضريحه من صَوْبِ دائِمَةِ الرَّهَائِمِ (٧٨)

(٧٢) أوس بن حجر: الديوان (دار صادر بيروت ١٩٦٧م) ص ١٠٨.

(٧٣) النابغة الذبياني: الديوان- تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (دار المعارف بمصر ١٩٧٧م) ص ١٢١.

(٧٤) حاتم الطائي: الديوان، تحقيق: عادل سليمان جال، مطبعة المدني، القاهرة ١٩٧٥م، ص ١١.

(٧٥) المصدر السابق: ص ٢٨٢.

(٧٦) شعرها، تحقيق: أكرم البستاني، مكتبة صادر، بيروت ١٩٦٣م، ص ١٠٩.

(٧٧) المصدر السابق، ص ١٢٦.

(٧٨) المصدر السابق، ص ١٣٤.

- سقى الله أرضاً أصبحت قد حوتهما
- سَقِيّاً لقبرك من قبر ولا برحت
- ربيع هُلاكٌ ومأوى ندَى
- أسقى بلاداً ضُمَّنتُ قبره
من المُسْتَهْلَاتِ السحابِ الغوايا (٧٩)
جودُ الرّواعدِ تسقيه وتُحْتَلَبُ (٨٠)
حين يخاف الناس قَحْظَ القطارِ
صوبُ مرابيع الغيوث السّوارِ
يُسْقَاهُ هام بالرويّ في القفار (٨١)

وقال قيس بن الخطيم يرثي ربيعة بن مكرم: (٨٢)

فسقى الغواوي رمسك ابن مكرمٍ من صوبٍ كلّ مُجْلَجِلٍ وكَافٍ

وقال قيس بن عاصم يلوم خالد بن مالك الذي لم يأخذ بثأر أخيه ربيعي قتيلا (يوم فلج) وهو يوم انتصرت فيه تميم على بكر بن وائل: (٨٣)

فما بال أصداءٍ بفَلَجٍ غريبةٍ تُنادي مع الأطلال يا لابن حَنْظَلٍ
صوادي لا مولى عزيز يجيبها ولا أسرةٌ تسقي صداها بمنهَلٍ
وقال أحدهم يرثي امرأته: (٨٤)

سقى جدثاً تَضَمَّنَ أمّ عمرو بنخلّة ما أستهلّ من الغمام
وما للأرض أستسقي ولكن لأصداء أقمن بها وهام
وربما كان الدُّعاء بسُقيا الروح الماء عوضاً عن سقيا الدم الذي تطلبه الهامة وتصيح من أجله .

وقد يعني سقيا القبر إعادة الحياة فيه ، لأن الماء في الحس العربي يعني الحياة والرحمة

(٧٩) المصدر السابق ، ص ١٤٤ .

(٨٠) المصدر السابق ، ص ١٣ .

(٨١) المصدر السابق ، ص ٦٨ .

(٨٢) حسان بن ثابت : الديوان ، ص ٣٩٢ (سبق ذكره) والبيت ينسب لقيس بن الخطيم ولرجل من بني الحارث بن الخزرج من الأنصار .

(٨٣) قيس بن عاصم : شعر بني تميم في العصر الجاهلي ، جمع وتحقيق : د . عبد الحميد المعيني منشورات نادي القصيم الأدبي ، السعودية ١٩٨٢ م ، ص ١٨٤ .

(٨٤) عبد الكريم النهشلي القيرواني : المتع في علم الشعر وعمله ، تحقيق : د . منجي الكعبي ، طبع الدار العربية للكتاب ، ليبيا - تونس ١٩٧٨ م ، ص ٢٦٤ .

والبعث والنقاء والطَّهر والخلاص وطيب العيش ... وهم يريدون معاني الماء لساكني القبور، ولعل الدعاء بسُقيا الرَّبْع والظَّلَل الذي اندثر وانحى لا يبعد كثيراً عن معنى الدعاء بسقيا القبور، لأن الظلل الذي انطمس واندثر ومات يريدون له رحمة وتطهيراً وحياة .

قال امرؤ القيس (٨٥)

- سقى دار هند حيث شَطَّت بها النَّوى أَحْمُ الذَّرَى داني الرَّباب ثخين
- فأسقي به أختي ضعيفة إذ نَأَتْ وإذ بَعُد المزار غير القريض

وقال عبيد بن الأبرص: (٨٦)

سَقَى الرَّبَابُ مُجْلِجِلُ الـ أَكْنَافَ لَمَّاحٍ بُرُوقُهُ
وقال أوس بن حجر: (٨٧)

سقى ديار بني عوف وساكنها ودار علقمة الخير بن صَبَّاح
وقال عمرو بن قميئة: (٨٨)

فسقى منازلها وجِلَّتْها قَرِدُ الرَّبَابِ لصوته زَجَلُ
وقال المثقب العبدى: (٨٩)

سقى تلك من دار ومن حَلَّ رَبْعها ذهابُ الغواصي: وبُلْها ومُدَيْها
وقال النابغة: (٩٠)

سقى دار سُعدى حيث حَلَّت بها النَّوى فأفَعَمَ منها كل رَبْع وقد فد
وقال عنتره بن شداد: (٩١)

(٨٥) امرؤ القيس: الديوان، ص ٢٨٢ وص ٧٣ (سبق ذكره).

(٨٦) عبيد بن الأبرص: الديوان، تحقيق: د. حسين نصار، مصطفى الحلبي، القاهرة ١٩٥٧م، ص ٨٩.

(٨٧) أوس بن حجر: الديوان، ص ١٨ (سبق ذكره).

(٨٨) عمرو بن قميئة: الديوان، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية القاهرة ١٩٦٥، ص ٩٤.

(٨٩) المثقب العبدى: الديوان، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية القاهرة ١٩٧١م، ص ٢٣٤.

(٩٠) النابغة الذبياني: الديوان، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (دار المعارف مصر ١٩٧٧م) ص ٢١٢.

(٩١) عنتره بن شداد: الديوان، تحقيق: عبد المنعم شلبي، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة (دون تاريخ) ص ٨٠ وص ٨٩، و

- سقتك يا عَلم السَّعْدِي غاديةً
- سقى الخيام التي نُصِن على
- فسقتك يا أرض الشَّرْبَةِ مُزَنَّةٌ
وقال طرفة بن العبد : (٩٢)

فسقى بلادك غير مفسدها
وقال علقمة الفحل : (٩٣)

فلا تعدلي بيني وبين مُعَمَّرٍ
سقتك روايا المُزَن حين تصوبُ
سقالك يمانٍ ذو حبي وعارضُ
تروحُ به جُنَحَ العشي جَنُوبُ

وقال عروة بن الورد : (*)

سقى سلمى ، وأين ديار سلمى
وقال سحيم عبد بني الحسحاس : (٩٤)
أغاضرَ حياك الإله وأسيقيت
بلاؤك صوب الرائح المتحيّر

وقد استمر الدعاء بسقيا ديار الحبيب في الشعر العربي حتى عصر المدن والقصور. (٩٥)
ولا نستبعد أن يكون الدعاء بسقيا الأطلال والقبور بقايا تراث ديني قديم كان أصلاً
طقساً سحرياً يمارس على عظام الموتى ، التي استخدمها العرب في استدعاء المطر ، ومن ثم
ارتبط نزول المطر بالأرض الخراب ، والقبور الموحشة .

(٣) صانع المطر

وفي الفكر الميثوبي (يسود الاعتقاد بوجود قوى سحرية عند الأشخاص الروحانيين
يقدرون بها على استدعاء المطر ، كالأولياء والملوك والقديسين والشعراء .

(٩٢) طرفة بن العبد : الديوان ، تحقيق لطفي الصقّال ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ١٩٧٥م ، ص ١٤٦ .

(٩٣) علقمة الفحل : الديوان ، تحقيق : لطفي الصقّال ، دار الكتاب العربي ، حلب ١٩٦٩م ، ص ٣٤ .

(٩٤) عروة بن الورد : ديوانه : تحقيق : أكرم البستاني ، وعيسى سابا ، دار صادر ، بيروت ١٩٦٤م ، ص ٣١ .

(٩٥) سحيم عبد بني الحسحاس : الديوان ، ص ٥٢ (سبق ذكره) .

(٩٥) انظر : ديوان جرير ، تحقيق : نعمان محمد أمين طه ، طبع (دار المعارف بمصر (دون تاريخ) ص ٢٦٨ ، وص ٢٣٣ ، وص

٣٧٩ . والأمدى : الموازنة (دار المعارف بمصر ١٩٧٣م) ج ١ ، ص ٤٦٣ و ٤٦٦ و ٥٣٣ .

ويعتبر (صانع المطر) زعيماً دينياً روحياً عند القبائل التي تعرف هذا النظام ، وفي بعض الحالات تنحصر هذه الوظيفة الروحية في يد إحدى عشائر القبيلة .

وفي الحبشة توجد وظيفة (الألفاي) الذي يؤمن الناس بقدرته على صنع المطر ، ويسترضونه بالفاكهة والملابس ، وإذا خاب أمل الناس فيه ، وتعرضت البلاد لجفاف خطير ، فإن (الألفاي) يرجم حتى الموت (٩٦) .

وقرب مصب نهر الكونغويسكن ملك المطر والعواصف الذي يتمتع بالقدرة على استنزال المطر في الوقت المناسب ، ويسترضيه الناس بالأبقار والدرة ، عساه يجعل ماء السماء المبارك ينهمر على المراعي . فإذا لم يسقط المطر من السماء تجمع الناس ، وطلبوا من الملك أن يعطيهم المطر ، فإذا استمرت السماء صافية بقروا بطنه التي يعتقدون أنه يحفظ فيها العواصف (٩٧) .

وهذه المسألة شائعة في المجتمعات الرعوية والزراعية ، حيث الامتزاج شديد بين الظن الغيبي ، والمعرفة الزراعية .

وقد نظر ابن خلدون إلى حرفة الزراعة نظرة ممزوجة بالطقوس السحرية ، قال : (٩٨) هذه الصناعة من فروع الطبيعيات وهي النظر في النبات من حيث تنميته ونشوؤه بالسقي والعلاج ، ومن حيث خواصه وروحانيته ، ومشكلة الروحانيات للكواكب والهياكل ، والمستعمل ذلك كله في باب السحر .

وفي الشعر الجاهلي نلاحظ الاعتقاد بالقوى الروحية ، والقدرات السحرية على استنزال المطر عند بعض الأشخاص والملوك والكهان .

قال النابغة يمدح أحد ملوك آل جفنة : (٩٩)

(٩٦) فريزر: الغصن الذهبي ، ج ١ ، ص ٣٧٧ .

(٩٧) فريزر: الغصن الذهبي ، ص ٣٧٦ .

(٩٨) ابن خلدون ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨) : المقدمة ، مطبعة مصطفى محمد ، مصر ، (دون تاريخ) ص ٥٤١ .

(٩٩) النابغة : الديوان ، ص ٢٠١ (سبق ذكره) .

جربت أبيض يستسقي الغمام به من آل جفنة في عزّ وفي كرم

وقال أيضاً يمدح النعمان بن الحارث الأصغر: (١٠٠)

سته أبائهم ما هم هم خير من يزرع صوب الغمام

وقال الأعشى في هودة بن علي الحنفي: (١٠١)

أغرّ أبلج يستقي الغمام به لوصارع الناس عن أحلامهم صرعاً

وقال علباء بن أرقم في النعمان بن المنذر: (١٠٢)

وإن يد النعمان ليست بكزة ولكن سماء تُمطر الوابل والدّيم

واستمر الاعتقاد في العصور الإسلامية بقُدرة الخلفاء الروحية على التحكم في المطر قال

الفرزدق: (١٠٣)

أعجبُ الناس أن أضحكتُ سيدهم خليفة الله يُستقى به المَطَرُ

وفي الشعر الجاهلي يُقرن الممدوح دائماً بالمطر، وهناك إشارات كثيرة لواجبات

الممدوحين في قومهم، وأهم واجباتهم: استدعاء المطر وانزاله.

قال زهير بن أبي سلمى: (١٠٤)

فاستمطروا الخير من كَفِّه إنَّهما بسببه يَتَرَوَى منهما البُعْدُ

مبارك البيت ميمونٌ نقيبته جَزَلُ المواهب مَنْ يُعْطِي كَمْ يَعْدُ

فالناس فوجان في معرفه شَرَّعُ فمنهم صادرٌ أوقارٌ يَرِدُ

ما زال في سببه سَجَلٌ يعمُّهم ما دام في الأرض من أوتادها وتَدُ

(١٠٠) المصدر السابق، ص ١٦٦.

(١٠١) الأعشى الكبير: الديوان ص ١٤٣ (سبق ذكره)

(١٠٢) الأصمعيات: تحقيق: عبد السلام هارون، وأحمد محمد شاكر (دار المعارف بمصر ١٩٧٦م) ص ١٥٩.

(١٠٣) الفرزدق: الديوان، تحقيق: اسماعيل الصاوي، المكتبة التجارية الكبرى بمصر (دون تاريخ) ص ٣٦١.

(١٠٤) زهير بن أبي سلمى: الديوان (سبق ذكره) ص ٢٨١.

وقال زهير أيضا : (١٠٥)

أَغَرَّ أبيضَ فياضٍ يُفَكِّكُ عن
- وأبيضَ فياضٍ يداه غمامة
أيدي العُناة وعن أعناقها الرِّبَّاقَ
على معتفيه ما تُغِبُّ نوافله
- أليس بفياضٍ يداه غمامة
ثَمالِ اليتامى في السنين مُحَمِّدَ

وقال بشر بن أبي خازم الأسدي : (١٠٦)

متحلَّب الكفَّين غير غُضْبَةٍ
وقال الأعشى : (١٠٧)

أنا لدى ملكٍ بِشَبِّ
مُتَحَلَّبُ الكَفَّينِ مِثْ
وَمَ ما تَغِبُّ له النَّوافِلُ
لِ البَدْرِ قَوالِ وفاعِلِ

وقال أيضاً يمدح الأسود بن المنذر اللخمي : (١٠٨)

عنده الخزمُ والتُّقى وأسا الصَّرُّ
أَرَجِيَّ صَلْتُ يَظِلُّ له القَوُّ
ع وَحَمْلُ لُمُضَلع الأثقالِ
ر وَحِيَّ سَقاهُمُ بسجَالِ

وليست التشبيهات المتكررة في الشعر الجاهلي بالمطر من قبيل المبالغة والمجاز وتحسين الصورة ، إنما هي تعبير عن الرغبة في المطر ، وتعبير عن التوتر والقلق الذي يعانيه الإنسان الجاهلي من انحباس المطر ، وهذا التوتر ليس وليد الإرادة الواعية ، إنما هو وليد الحدس الجماعي والشعور العام ، والرغبة في ماء الحياة .

(١٠٥) المصدر السابق ، ص ٥٢ ، وص ١٣٩ ، وص ٢٣٣ .

(١٠٦) بشر بن أبي خازم الأسدي : الديوان ، تحقيق : د . عزة حسن ، طبع مديرية إحياء التراث القديم ، دمشق ١٩٦٠ م ، ص ١٥٥ .

(١٠٧) الأعشى الكبير : الديوان ، تحقيق : محمد محمد حسين ، مكتبة الآداب بالجامع مصر ١٩٥٠ م . ص ٣٨٣ .

(١٠٨) المصدر السابق ، ص ٤٥ .

وربما كانت الأوصاف السابقة للمدوحين رواسب قديمة توحى بمهمة شيخ القبيلة : فهو قائد عسكري ، وزعيم قبلي ، ومصلح اجتماعي من جهة ، وهو كاهن القبيلة ومتنبئها وزعيمها الروحي من جهة ثانية ... ومن مهمات الزعيم الروحي تلبية حاجة الأمة بالتعاون والسحر ، وأهم حاجاتها : المطر .

(٤) الشعراء والمطر

و (للشعراء) في المجتمع الجاهلي أهمية بالغة ، فهم الزعماء الروحيون ، لهم صلة بالإلهام ، وبالعالم الأرواح الملهمة الذي يذهب بهم في فنون الشعر كل مذهب ، وقد نسبوا أنفسهم إلى وادي الجن (عُبَّزَر) وكان منهم متنبئون وعرافون وسحرة وكهان .

ومن يستعرض الشعر الجاهلي يجد الشعراء الجاهليين معنيين عناية مباشرة بسقوط المطر فالشعراء كلهم يحسون القلق والتوتر وهم يترقبون المطر ويسهرون في عتمة الليل ينتظرون البرق والريح . والكل يُعَذَّب من أجل المطر ، ويتحفَّز ويأرق ويقلق ويسعد ، و ينتظر و يترصد ، وتأتي أمثال هذه العبارات الدالة على القلق والتوتر بكثرة في الشعر الجاهلي :

(أَمْنَكْ بَرَقْ أَبَيْتَ اللَّيْلَ أَرْقُبُهُ) (١٠٩)

(أَرْقُتُ لَهُ ذَاتَ الْعِشَاءِ) (١١٠)

(يَا مَنْ لَبِزَقِ أَبَيْتُ اللَّيْلَ أَرْقُبُهُ) (١١١)

(إِنِّي أَرْقُتُ وَلَمْ تَأْرُقْ مَعِيَ صَاح) (١١٢)

(يَا مَنْ لَبِزَقِ أَبَيْتَ اللَّيْلَ أَرْقُبُهُ) (١١٣)

(صَاحْ تَرَى بَرَقاً بَتُّ أَرْقُبُهُ) (١١٤)

(١٠٩) أبو ذؤيب الهذلي : شرح أشعار الهذليين ، ج ١ ص ١٦٧ (سبق ذكره) .

(١١٠) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٨ .

(١١١) عبيد بن الأبرص : الديوان : ص ٣٤ (سبق ذكره) .

(١١٢) المصدر السابق : ص ٣٤ .

(١١٣) المصدر السابق : ص ١٢٨ .

(١١٤) المصدر السابق : ص ٦٣ .

- (هـل تَأْرِقَان لِبَرْق بَتْ أَرْقُبُهُ) (١١٥)
 (أَرْقَتْ لَهُ وَنَام أَبُو شَرْيَح) (١١٦)
 (قَعَدْتُ لَهُ وَصُحْبَتِي بَيْن حَامِر) (١١٧)
 (أَصَاح تَرَى بَرْقاً أُرِيكَ وَمِيْضُهُ) (١١٨)
 (أَرْقَتْ وَأَصْحَابِي قُعُودٌ بَرَبُوءَةٌ) (١١٩)

نحس ونحن نقرأ الشعر الجاهلي في المطر تلك الحمى وذلك الوجد الممزوج بالأرق ، وتلك النشوة المتوترة التي تتاب الشاعر وهو يرصد تحرك الحدث العظيم ، وهويتابع سقوطه في الظلام الحالك ، وكأنما جاء نزول المطر غنوة بفعل ترقبه وصلواته وسهره ، وتهجده ، وسحره ومتابعته وتأمله .

ويبدو أن الشاعر الجاهلي - دون شعراء الأمم - تلقى على كاهله مسؤولية صنع المطر لأن هذه المهمة هي مهمة الشاعر الساحر : صانع المطر . (١٢٠)
 قال عنتره بن شداد : (١٢١)

وإن كان لوني مُعْتَمِئاً فَخَصَائِلِي بِيَاضٍ وَمِنْ كَفِّى يُسْتَنْزَلُ الْقَطَرُ
 أعتقد أن قول عنتره ليس من قبيل المجاز ، لأنه يعبر عن حقيقة مُجَسَّدة محسوسة ، آمن بها الإنسان القديم وَصَدَّقَهَا سواء أقبلناها أم لم نقبلها ، لأن المطر - في العرف الجاهلي - نتيجة للفعل الإنساني المحض يأتي عنوة بفعل السحر والصلاة والقوة .
 وقال امرؤ القيس بعد أن وصف المطر الذي تابعه وراقبه : (١٢٢)

- (١١٥) امرؤ القيس : الديوان ، ص ٢٨١ (سبق ذكره) .
 (١١٦) المصدر السابق : ص ١٤٨ .
 (١١٧) امرؤ القيس : الديوان ، ص ٢٤ (سبق ذكره) .
 (١١٨) النابغة الذبياني : الديوان ، ص ٢٤٦ (سبق ذكره) .
 (١١٩) المصدر السابق : ص ١٨٧ .
 (١٢٠) نصرت عبد الرحمن : الصورة الفنية في الشعر الجاهلي ، مكتبة الأقصى ، عمان ١٩٧٦م ص ٦٨ وما بعدها .
 (١٢١) عنتره بن شداد : الديوان ، ص ٨٩ (سبق ذكره) .
 (١٢٢) امرؤ القيس : الديوان ، ص ٢٥٣ (سبق ذكره) .

سَقَيْتُ بِهِ جَبَلِي طِيءَ وَحَيًّا بِنَخْلَةٍ مَثًّا حَرِيدًا
فال فعل (سقيت) لا يحتمل المجاز، لأنه يعبر عن حقيقة آمن بها، وعن رؤيته مباشرة في
تصور نزول المطر عند الجاهليين.

(٥) طقوس العرب في الاستسقاء

(أ) النار السحرية والمطر

وقد استخدم العرب دون غيرهم من الأمم - النار طقساً سحرياً للاستسقاء، فكانوا إذا
تتابعت عليهم الأزمان، وركد عليهم البلاء، واشتد الجذب، واحتاجوا إلى الاستمطار،
اجتمعوا وجمعوا ما قدروا عليه من البقر، ثم عقدوا في أذناها وبين عراقيها السِّلَع
والْعُشْر (١٢٣) ثم صَعَدُوا بها في جبل وعَر، وأشعلوا فيها النيران، وَصَجُّوا بالدُّعَاء والتَّضَرُّع،
فكانوا يرون أن ذلك من أسباب السقيا (١٢٤).

لذلك قال أمية بن أبي الصلت يصف هذه الطقوس: (١٢٥)

س ترى للعِصَاة فيها صريرا	سَتَّةَ أزمَةُ تَحْيَلُ بَالْتَا
قَبْلُ لا يَأْكُلُونَ شَيْئاً فطيرا	إِذْ يَسْقُونَ بالدقيق وكانوا
لَ مَهازِيلَ خَشِيَّةً أَنْ تَبورا	وَيَسُوقُونَ باقراً يطرد السهـ
ناب عمدأ كيما تهيج البُحُورا	عاقدين الثَّيران في شُكْرِ الأذ
ثم هاجت إلى صبير صبيرا	فاشتوت كلَّها فهاج عليهم
ر وأمسى جنابُهم ممطورا	فَرَأَاهَا الإله ترشُمُ بالقَط

(١٢٣) السِّلَع: نبات، وقيل شجر مَر، وقيل: إنه سم، وله ورقة صغيرة شائكة كأنها الزغب، وهو بقلة تنفرش كأنها راحة الكلب.
والْعُشْر: من كبار شجر العضاء، وهو ذو صمغ حلو وحراق مثل القطن، يقتدح به، وهو عريض الورق يخرج من شعبة، ومواضع
زهرة سكر فيه شيء من المارة، يقال له: سكر العشر، وله نَوْرٌ كالدُّفْلِ مشرق حسن المنظر.
انظر: اللسان: مادة (سَلَع) و (عشر) وحاشية كتاب النبات والشجر للأصمعي، تحقيق أوغست هافنر، طبع بيروت ١٩٠٨.
(١٢٤) الجاحظ: الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة البابي الحلبي - مصر (دون تاريخ) ج ١، ص ٣٦٦. والتويري: نهاية
الأرب ج ١ ص ١٠٩، والقلقشندي: صبح الأعشى ج ١ ص ٤٠٩.
(١٢٥) المصادر السابقة، وأمّية بن أبي الصلت، حياته وشعره، بهجة الحديثي وزارة الاعلام، العراق ١٩٧٥ م. ص ٢١٣.

فسقاها نَشَاصُهُ واكف الغَيِّ ث منه إذ راوعوه الكبيراً
وأنشد القَحْذَمي للوَزَل الطائي يُسَفِّه مَنْ يَعْتَمِدُونَ هذه التعاويذ السحرية لجلب
المطر: (١٢٦)

لا دَرَّ دَرَّ رجال خاب سَعِيهِمْ يستمطرون لدى الأَزْمَاتِ بالعُشْرِ
أَجَاعِلُ أَنْتَ بَيَقُوا مُسَلَّعَةً ذريعةً لك بين الله والمَطَرِ
وتشير بعض المصادر إلى أنهم يُصَعَّدُونَ البقر في الجبل الوعر إلى جهة الغرب دون
الجهات الأخرى . (١٢٧)

وعلل جواد علي إضرام النيران في أذنان البقر بأن ذلك إنما فعلوه على سبيل التفاؤل ،
فالنار إشارة إلى البرق ، والبرق مجلبة للمطر (١٢٨) .

واستنتج بناء على ذلك أحد الدارسين أن هذا الطقس تمثيل لهذه الظاهرة الطبيعية بكل
أحداثها ، حيث يُمَثَّلُ الدُّخَانُ تراكم السحب ، وألسنة النار تمثل البرق ، وهبوط الأبقار
يشير إلى التفاؤل بنتيجة هذا الطقس ، واستجابة للصلاة ، والواسطة الإلهية هي النيران
والأبقار الوحشية . (١٢٩)

يذكر المؤرخ العربي (المقريزي) طقساً سحرياً لمنع سقوط المطر كان شائعاً في بعض
قبائل البدو في (حضر موت) وهي قبيلة (القمر) فقد كان الناس هناك يقطعون غصن شجرة
(معينة) في الصحراء ، ويشعلون فيه النار ، ثم يرشون الماء بعد ذلك على الخشب المشتعل
فيقل هبوط المطر حتى يتوقف تماماً مثلما تختفي المياه التي ترش على الخشب المتوهج .

وفي بعض القبائل في (ماينبور) يمارسون طقوساً مماثلة ولكن لتحقيق هدف مناقض
تماماً : أي إسقاط المطر .

(١٢٦) الجاحظ : الحيوان ج ٤ ، ص ٤٦٧ ، وصبح الأعشى ، ص ٤٠٩ .

(١٢٧) النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٣٢ م ، ج ١ ص ١٠٩ .

(١٢٨) جواد علي : تاريخ العرب قبل الإسلام (طبع بغداد ١٩٧٨ م) ج ٥ ، ص ٣٤١ .

(١٢٩) د. علي البطل : الصورة الفنية في الشعر العربي ، دار الأندلس ، بيروت ١٩٨٠ م ، ص ١٣١ .

فقد كانوا يحرقون الخشب على قبر رجل مات محروقاً ثم يطفئون تلك النار بالماء ،
و ينتظرون سقوط المطر الذي يُبَلِّل الجسم المحروق .

وفيما عدا العرب فإنَّ كثيراً من الشعوب الأخرى كانت تستخدم النار وسيلة لمنع
سقوط المطر . (١٣٠) .

وروى القزويني عن مسعر بن مهلهل ، قال (١٣١) :

أهل الري إذا دامت عليهم الأمطار وتأذوا منها صَبُّوا لبن الماعز على النار، فانقطعت .
قال : جَرَبْتُ هذا مراراً فوجدته صحيحاً .

النار لها مكانة مرموقة في المعتقدات الجاهلية ، فقد اعتقدوا فيها قوة سحرية وأوقدوها في
الحلف المقدس ، وأشهروا بها الغادرين ، وربما جاءت عبادتهم للأصنام الحجرية لأن النار
لا تقدر على إحراقها وإفنائها .

وقد عبد بعض العرب (تميم وغيرها) النار بطقوس خاصة ، فهم يحفرون أخدوداً مربعاً
في الأرض ، ويضرمون فيه النار ، ثم يطرحون فيها الطعام والشراب واللباس والجواهر
تقرباً إليها ، وحرّموا إلقاء النفوس فيها . (١٣٢) .

أمّا الساميون القدماء فكانوا يضحون بأنفسهم وأولادهم حرقاً في النار المقدسة ، فقد
ضَحَّى (ميشا) ملك مؤاب بابنه البكر في هب النار .

وانتحر الملك الآشوري (سرد نابالس) الذي أسس طرسوس في محرقة هائلة .
والنار في اعتقاد الفرس المُبَجَّلِينَ لها هي الشكل الدنيوي للنور الإلهي الأزلي الخالد ، الذي
لا يحده زمان ولا مكان .

(١٣٠) فريزر: الغصن الذهبي، ج ١، ص ٢٥٤ (سبق ذكره) .

(١٣١) القزويني: آثار البلاد، ص ٣٤٥ (سبق ذكره) .

(١٣٢) النويري: نهاية الأرب، ج ١، ص ١٠٥ (سبق ذكره) .

وكان الأقدمون يعدّون النار مُظَهِّراً قوياً ، لأنها تلتهم الجسد الفاني ولا يبقى من الانسان إلا الروح الالهية الخالدة . (١٣٣)

وكانت الوثنية الفينيقية تُقدّم الضحايا البشرية للنار . وقد يقدمون أعزّ أبنائهم قرابين تلتهمهم نار الآلهة . (١٣٤) .

وقد استسقى الفرس بالنار، قال البيروني في تفسير (عيد أفرنجكان) أي (عيد صبّ الماء) عند الفرس : (١٣٥)

السبب فيه أن القطر احتبس في زمن « فيروزجد أنوشروان » ، وأجذب الناس ، ففتح الشاه خزائنه للناس حتى نفدت ، واستدان من أموال بيوت النيران ، ثم سار إلى بيت النار بفارس ، فصلّى وسجد واستسقى .

ووجد السّدنة والهرابذة لم يُسلّموا عليه تسليم الملوك ، فاقبل على النار، وضمّ اللهب إلى صدره ثلاث مرّات ضمّ الصديق صديقه عند المُساءلة ، وبلغ اللهب لحيته ولم تحترق ، ثم دعا واستسقى ، وتوجه نحو مدينة (دارا) فأقبلت سحابة لم يعهد قبلها غزارة حتى جرت المياه في السرداق والخيام ... وكان كل إنسان من السرور الذي لحقه من ذلك أن صَبَّ على صاحبه الماء ، وصار هذا اليوم عيداً في إيران كلها .

فالنار هي التي تمنح المطر، ولعل العرب قد ضحوا بالبقر فداءً لأنفسهم وأولادهم تقريباً من الآلهة ، لذلك كانوا يصعدون على رؤوس الجبال لتكون الآلهة قريبة منهم تسمع شكواهم وترى توسلاتهم .

وكان أوّلَى الناس بفداء نفسه الزعيم الروحي ، أو الملك .. ولعله هو الذي يضحي بأبقاره لارضاء الآلهة . أما الفقراء وعامة الشعب فهم ينتظرون من الزعيم أن يأتي بالمطر، فإن لم يستطع ذلك ، فلا زعامة له عليهم .

(١٣٣) جيمس فيزر: أدونيس ، ص ٩٢ ، وص ١١٩ ، وص ١٢٢ ، وص ١٢٥ (سبق ذكره) .

(١٣٤) أمين مدني : التاريخ العربي وبدايته (دار المعارف بمصر ١٩٦٤م) ص ٣٥٨ .

(١٣٥) البيروني : الآثار الباقية من القرون الخالية ، طبع ليبزج ١٩٢٣م ، ص ٢٢٨ .

وقد ارتبط المطر في الحس اللغوي العربي بالنار ارتباطاً دقيقاً ، وهذا الارتباط له دلالة رمزية على المعنى الروحي للنار ، فسموا المطر وَدْقاً والنار وديقة (١٣٦) .

(ب) ثور الوحش والمطر

و يرتبط بالنار الأبقار والثيران التي يُصَعَّد بها في الجبال سواء أكانت أهلية أم وحشية .

أما علاقة البقر بالمطر من حيث هي رمز يدل عليه ، ومن حيث هي تعويذة سحرية يُسْتَدْعَى بها المطر ، فهي علاقة قديمة ، إذ تُمَثِّل البقرة قوّة تتحكم في السحب وتنزل المطر ، وتخيل الفراعنة السماء بقرة والمطريدر من ثدييها العظيمتين . وما عادة استسقاء العرب بالبقر إلاّ مخلفات عبادة الثور وما يرمز اليه من الخصب والارواء .

و يبدو أن النار المُضَرَّمَة في حطب السَّلَع والعُشْر ما هي إلاّ تطوّر لطقوس واحتفالات قديمة تتصل بهذا الاله (الثور) (١٣٧)

وتأتي صورة الثور في الشعر الجاهلي (١٣٨) مقرونة بالنار دائماً ، فهو شهاب ثاقب متوقّد ، وهو جذوة نار مستعرة ، أو لهب منير مُتَضَرِّم ، أو حريق مشتعل متأجج .
قال امرؤ القيس : (١٣٩)

فأدبَرَ يَكْسُوها الرُّغَام كأنه على الصَّمَد والآكام جذوة مُقْبِس
فأدركنه يأخذُن بالسَّاق والنَّسَا كما شَبَّرَق الولدان ثوب المُقَدَّس

وقال أبو ذؤيب الهذلي : (١٤٠)

- (١٣٦) انظر : اللسان ، مادة (ودق) .
(١٣٧) عبد الجبار المطلبي : مواقف في الأدب والنقد ، دار الرشيد ، بغداد ١٩٨٠ م ، ص ١٠٧ .
(١٣٨) سافرد للثور بحثاً خاصاً لأهميته في المعتقد الجاهلي ، خاصة : مسألة الاستمطار .
(١٣٩) امرؤ القيس : الديوان ص ١٠٢ - ١٠٣ (سبق ذكره) .
(١٤٠) شرح أشعار الهذليين : ج ١ ، ص ٦٠ (سبق ذكره) .

من وحش حَوْضِي يُرَاعِي الْوَحْشَ مَبْتَلًا كَأَنَّهُ كَوْكَبٌ فِي الْجَوِّ مُنْحَرِدٍ
وقال النابغة : (١٤١)

مُؤَلِّي الرِّيحِ رَوْقِيهِ وَجَبْهَتَهُ كَالْهَبْرَقِي تَنْحَى يَتْفُخُ الْفَحْمَا
وقال ضابيء بن الحارث البرجمي : (١٤٢)

شديد سواد الحاجبين كأنما أُسِفَّ صَلَّى نَارِ فَأُصْبَحَ أَكْحَلَا
وقال أوس بن حجر (١٤٣)

وَانْقَضَ كَالدَّرِّيِّ يَتْبَعُهُ نَقَعَ يَثُورُ تَخَالُهُ طُئْبَا
يَخْفَى وَأَحْيَانًا يَلُوحُ كَمَا رَفَعَ الْمُئِيرَ بِكَفِّهِ لَهَبَا

وتأتي صورة الثور في الشعر الجاهلي مُتَّصِلَةً بالمطر والريح والعاصفة التي تحصبه بالبرد والمطر
فبييت ليله مؤرقاً - كالشاعر الجاهلي تماماً - يقاسي الظلمة والريح والماء الدافق ، لكنه يلوذ
بالأرطاة كراهب منعزل متعبد يتأمل المطر ويفكر بالنور و ينتظر الأمل و يقاسي الهموم ،
و يدفع الهواجس .

وفي كل القصائد التي تصف الثور الوحشي تصف معه المطر (١٤٤) الذي ينثال على
متنه كالدَّرِّ بينما هو في سُمُوعٍ وَتَعَالٍ وَتَفَكُّرٍ وَظَهْرٍ ، يبدو عليه التوتر والقلق ، لكنه يبذل
الجهد ، ويتابع المطر ، ويتأمل منفرداً ، يتجهّد في عتمة الظلام ، و يبتهل ، و يتوسّل و يكاد
يصلي في محرابه أو كناسه ، كراهب متبتّل انطوى على نفسه يتأملها .

وما إن تنكشف الظلمة و يأتي النور وتم ولادة المطر ، تظهر علامات البشر والرّضَى

(١٤١) النابغة : الديوان ، ص ٦٥ (سبق ذكره) .

(١٤٢) الأصمعيات : ص ١٨٣ (سبق ذكره) .

(١٤٣) أوس بن حجر : الديوان ، ص ٤٠٣ (سبق ذكره) .

(١٤٤) امرؤ القيس : الديوان ص ١٠٢ : النابغة : الديوان ، ص ١٨ ، وص ٦٥ ، وص ٢١٥ ، المثقب العبدى : الديوان ص ٣٥ ، و ٤٩
وعبيد بن الأبرص : الديوان ص ٤٤ و ١٧ و ١١١ ، زهير : الديوان ٤٢ و ٥٧ و ٢٧٥ ، طرفة : الديوان ص ١٨٥ ، أوس بن
حجر : الديوان ص ٢ ، بشر بن أبي خازم : الديوان ص ٥١ ، وص ٨٢ وص ٥٥ - الأعشى : الديوان ص ٢٤٩ و ٣١٥ و ٣٣١ و ٣٦١ .

والانتصار والزَّهْو على مُحَيَّا الثور، فينطلق مجبوراً جذلاً كالشهاب الثاقب أو كجذوة مُثْبِس، أو كالسيف الصقيل .

هذا الارتباط القديم بين الثور والمطر يتضح تماماً في الشعر الجاهلي عندما تُسرَد قصة الثور الوحشي، لأن الثور رمز مشهور من رموز المطر، ولعل تسميتنا للنبات والزرع الذي يسقى بماء السماء (بعلاً) من الاعتقادات القديمة التي تتصل بقدسية الثور وما يرمز إليه من الخصب والمطر لأنَّ من أسماء الثور (بعلاً) (١٤٥) والبعل : الرب والمالك والسيد وصانع المطر.

خلاصة البحث ونتائجه

تناولت في هذا البحث موضوع الاستسقاء في الشعر الجاهلي في ضوء الدراسات الميثولوجية الحديثة وعرضت لوسائل الانسان القديم للتحكم في المطر بواسطة السحر، فتحدثت عن حجر المطر ودور الفرس في الاستسقاء، وعن طقوس الاستحمام وغسل الثياب في جلب المطر، ثم التضرع للأماكن المقدسة والأولياء والقديسين، والاستسقاء بعظام الموتى ودور الشعراء في الاستسقاء.

ورأيت أن الدعاء بسقيا الأطلال والقبور ما هو إلا بقايا تراث ديني قديم كان أصلاً طقساً سحرياً يُمارس على عظام الموتى، ووجدت أن الشاعر القديم كان يؤمن بقدرته على صنع المطر واستنزاله بفعل شعره وصلاته وابتهاالاته... وأنه كان يرى في ممدوحه القدرة على استدعاء المطر واستنزال الخير.

وعرضت لتصور الجاهليين للنار والثور، ورأيت أن الشعر الجاهلي قد مثّل إيمان الجاهليين في قدرة هذين الطَّلَسْمَيْن على استنزال المطر، ودلت على ذلك بتحليل نماذج شعرية في صفة الثور الوحشي.

مصادر البحث ومراجعته

- ١ - ابن الأجدابي :
الأزمنة والأنواء ، تحقيق د. عزة حسن ، دمشق ١٩٦٤ م .
- ٢ - أحمد بن أبي طاهر :
بلاغات النساء ، طبع النجف الأشرف العراق ١٣٦١ هـ .
- ٣ - الأصفهاني ، أبو نعيم :
دلائل النبوة ، طبعة عالم الكتب بيروت (دون تاريخ) .
- ٤ - الأصمعي :
الأصمعيات ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، وعبد السلام هارون - دار المعارف بمصر ١٩٧٦ م .
- ٥ - الأعشى الكبير :
الديوان ، تحقيق محمد محمد حسين ، مكتبة الآداب بالجاميز مصر ١٩٥٠ م .
- ٦ - امرؤ القيس :
الديوان ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف بمصر ١٩٦٤ م .
- ٧ - أمين مدني :
التاريخ العربي وبدايته ، دار المعارف بمصر ١٩٦٤ م .
- ٨ - أوس بن حجر :
الديوان ، تحقيق د. محمد يوسف نجم ، دار صادر بيروت ١٩٦٧ م .
- ٩ - بشر بن أبي خازم الأسدي :
الديوان ، تحقيق عزة حسن ، دمشق ١٩٦٠ م .
- ١٠ - البيروني :
الآثار الباقية من القرون الخالية لبيزج ١٩٢٣ م .
- ١١ - بنو تميم :
شعر بني تميم في العصر الجاهلي ، جمع وتحقيق د. عبد الحميد المعيني ، نادي القصيم الأدبي ١٩٨٢ م .
- ١٢ - أبو تمام :
ديوان الحماسة ، تعليق : محمد عبد المنعم خفاجي القاهرة ١٩٥٥ م .

- ١٣ — التيفاشي :
سرور النفس بمدارك الحواس الخمس ، تحقيق د. إحسان عباس ، بيروت ١٩٨٠ م.
- ١٤ — الثعالبي :
ثمار القلوب ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار نهضة مصر ١٩٦٥ م.
- ١٥ — الجاحظ :
أ — البرصان والعرجان ، تحقيق عبد الفتاح الحلو ، طبع الرياض - ١٩٨٠ .
ب — البيان والتبين ، تحقيق عبد السلام هارون طبع مصطفى البابي الحلبي مصر ١٩٦٨ م.
- ١٦ — جرير الخطفي :
الديوان ، تحقيق نعمان محمد أمين ، دار المعارف بمصر (دون تاريخ).
- ١٧ — جيمس فريزر :
(١) الغصن الذهبي ، الهيئة المصرية العامة ١٩٧١ م.
(٢) أدونيس ترجمة جبرا ابراهيم جبرا دار الصراع الفكري ببيروت ١٩٥٧ م.
- ١٨ — جيمس ويللارد :
الصحراء الكبرى ، مكتبة الفرجاني طرابلس ليبيا ١٩٦٧ م.
- ١٩ — حاتم الطائي :
الديوان ، تحقيق عادل سليمان جمال مطبعة المدني القاهرة ١٩٧٥ م.
- ٢٠ — حسان بن ثابت :
الديوان ، تحقيق د. سيد حنفي ، الهيئة المصرية العامة ١٩٧٤ م.
- ٢١ — خفاف بن ندبة :
شعره ، تحقيق : نوري القيسي مطبعة المعارف بغداد ١٩٦٨ م.
- ٢٢ — الخنساء :
شعرها تحقيق ، أكرم البستاني مكتبة صادر ، بيروت ١٩٦٣ م.
- ٢٣ — ابن خلدون :
المقدمة ، مطبعة مصطفى محمد ، مصر (دون تاريخ) .
- ٢٤ — دبترف نيلسن :
التاريخ العربي القديم : مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٨ م.
- ٢٥ — الزبيدي :
تاج العروس من جواهر القاموس ، المطبعة الخيرية بمصر ١٩٤٤ م.

- ٢٦ — زهير بن أبي سلمى :
الديوان طبعة دار الكتب المصرية ١٩٤٤ م .
- ٢٧ — سحيم عبد بني الحسحاس :
الديوان ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، دار الكتب المصرية ١٩٦٨ م .
- ٢٨ — سلامة بن جندل :
الديوان تحقيق فخر الدين قباوة ، طبعة حلب ١٩٦٩ م .
- ٢٩ — ابن سلام الجهمي :
طبقات فحول الشعراء ، شرح : محمود شاكر ، مطبعة المدني القاهرة (دون تاريخ) .
- ٣٠ — ابن سيده :
كتاب المخصص ، طبعة المكتب التجاري ببيروت (دون تاريخ) .
- ٣١ — شيخ الربوة :
نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، طبعة ليبزج ١٩٢٣ م .
- ٣٢ — طاش كبرى زاده :
مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ، طبعة الهند (دون تاريخ) .
- ٣٣ — الطبري :
تاريخ الرسل والملوك دار المعارف بمصر ١٩٦٧ م .
- ٣٤ — طرفة بن العبد :
الديوان ، تحقيق لطفي الصقال ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ١٩٧٥ م .
- ٣٥ — الطفيل الغنوي :
الديوان ، تحقيق محمد عبد القادر أحمد ، دار الكتاب الجديد بيروت ١٩٦٨ م .
- ٣٦ — طه الهاشمي :
تاريخ الأديان مكتبة الحياة بيروت ١٩٦٣ م .
- ٣٧ — عبد الجبار المطلبي :
مواقف في الأدب والنقد ، دار الرشيد بغداد ١٩٨٠ م .
- ٣٨ — عبد الحميد زايد :
من أساطير الشرق الأدنى القديم ، مجلة عالم الفكر ، العدد الثالث وزارة الاعلام الكويت ١٩٧٥ م .
- ٣٩ — عبد الكريم النهشل القيرواني :
الممتع في علم الشعر وعمله ، تحقيق منجي الكعبي ، طبعة الدار العربية للكتاب ليبيا ، تونس ١٩٧٨ م .

- ٤٠ — عبید بن الأبرص :
الديوان، تحقيق د. حسين نصار، مطبعة البابي الحلبي القاهرة ١٩٥٧ م.
- ٤١ — عروة بن الورد :
الديوان، تحقيق أكرم البستاني وعيسى سابا، دار صادر بيروت ١٩٦٤ م.
- ٤٢ — علقمة الفحل :
الديوان : تحقيق لطفي الصقال، دار الكتاب العربي حلب ١٩٦٩ م.
- ٤٣ — علي البطل :
الصورة الفنية في الشعر العربي دار الاندلس، بيروت ١٩٨٠ م.
- ٤٤ — عمرو بن قميئة :
الديوان، تحقيق حسن كامل الصيرفي، طبع معهد المخطوطات العربية القاهرة ١٩٦٥ م.
- ٤٥ — عنتره بن شداد :
الديوان، تحقيق عبد المنعم شلبي المكتبة التجارية الكبرى (دون تاريخ).
- ٤٦ — غير ستر، جورج :
الصحراء الكبرى، تعريب : خيرى حامد، المكتب التجاري، بيروت ١٩٦٠ م.
- ٤٧ — الفرزدق :
الديوان، تحقيق اسماعيل الصاوي المكتبة التجارية الكبرى بمصر (دون تاريخ).
- ٤٨ — ابن قتيبة :
أ - عيون الأخبار، دار الكتب المصرية القاهرة ١٣٤٣ هـ.
ب - كتاب المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، دار المعارف بمصر ١٩٦٩ م.
- ٤٩ — القزويني :
آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر بيروت ١٩٦٠ م.
- ٥٠ — د. قيس النوري :
الأساطير وعلم الأجناس، دار الكتب الموصل ١٩٨١ م.
- ٥١ — المكتبي :
فوات الوفيات، تحقيق د. احسان عباس دار صادر بيروت ١٩٧٣ م.
- ٥٢ — ابن كثير، الحافظ :
البداية والنهاية، دار الفكر بيروت ١٩٧٨ م.
- ٥٣ — ليبيد بن ربيعة :
الديوان، تحقيق د. احسان عباس وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت ١٩٦٢ م.

- ٥٤ — محمد عبد الله دراز:
الدين ، طبعة مصر ١٩٥٢ م .
- ٥٥ — المتقّب العبدى :
الديوان ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، طبع معهد المخطوطات العربية القاهرة ١٩٧١ م .
- ٥٦ — مصطفى الجوزو:
من الأساطير العربية والخرافات . دار الطليعة بيروت ١٩٧٧ م .
- ٥٧ — مصطفى ناصف :
قراءة ثانية لشعرنا القديم ، منشورات الجامعة الليبية ، كلية الآداب (دون تاريخ) .
- ٥٨ — النابغة الذبياني :
الديوان ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر ١٩٧٧ م .
- ٥٩ — نصرت عبد الرحمن :
الصورة الفنية في الشعر الجاهلي ، مكتبة الأقصى عمان ١٩٧٦ م .
- ٦٠ — نوري القيسي :
الطبيعة في الشعر الجاهلي دار الإرشاد بيروت ١٩٧٠ م .
- ٦١ — النويري :
نهاية الأرب في فنون الأدب ، دار الكتب المصرية ١٩٣٢ م .
- ٦٢ — الهذليون
شرح أشعار الهذليين تحقيق ، عبد الستار فراج القاهرة ١٩٦٥ م .
- ٦٣ — وهب بن منبّه :
كتاب التيجان في ملوك حمير ، طبعة وزارة المعارف العثمانية الهند ١٣٤٧ هـ .